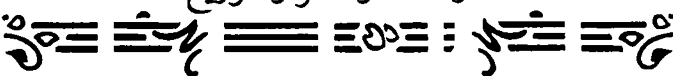
أهل السنة والجماعة

المصطلح والمفهوم

إعداد
د. صالح خليل حمودي الطائي



للدراسات والنشر والتوزيع



الطبعة الأولى

٢٠٠٧ م - ١٤٢٨ هـ



للدراسات والنشر
والتوزيع

حلب - الجميلية - شارع البحتري - بناء الجمعية الخيرية الإسلامية
هاتف: ٢١٢٧٦٧٦٠/ ٢١/ ٠٠٩٦٣ فاكس: ٢١٢٧٦٧٦٦/ ٢١/ ٠٠٩٦٣
٣٣٢٦٧٥/ ٩٣/ ٠٠٩٦٣

أهـل السـنة والجماعـة

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا
تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ
كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ
فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا
حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَٰلِكَ
يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾

[آل عمران: ١٠٣]

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله الهادي إلى طريق الحق المبين الذي أنزل شرائع وسنن الدين على سيد المرسلين، الآمر بالاعتصام بحبله المتين، الكتاب العزيز والسنة المطهرة ركنا الدين، الجامع لشتات الأمة بالألفة والمحبة: ﴿لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ﴾[1].

والصلاة والسلام على سيد المرسلين وإمام المتقين، وقائد الغر المحجَّلين، الذي بيَّن السنة طريق المسلمين، وعلى أصحابه النجباء الطاهرين، المتمسكين بكتاب الله وسنة رسوله، وبها مستعصمين، وعلى التابعين، وتابعيهم، بإحسان إلى يوم الدين، أهل السنة والجماعة، خير خلق الله أجمعين، وبعد:

فإن الله سبحانه وتعالى يسر لي أن أختار هذا العنوان، من بين العناوين، لأجعله موضوع بحثي الثاني، وذلك لكونه من الموضوعات المهمة في الدين، وهو بيان ومعرفة أهل السنة والجماعة على وجه التحقيق، وهم الفرقة الناجية، بالاتباع لسيد المرسلين، وهو موضوع شائك إلاّ على من يسره الله له، وفتح عليه، فهو مُمثل بالماشي بين أشواك الأقوال، غامضها، ودقيقها، لكنه واضح، لدى التحكيم بكتاب الله العزيز وسنة رسوله الكريم وجماعة المسلمين، من السلف الصالح من الصحابة والتابعين وتابعيهم إلى يوم الدين.

ولقد كثرت الادعاءات، في هذه الأيام، وفي كل الأيام، في الانتساب إلى أهل السنة والجماعة، والتي توسم بالفرقة الناجية، ولكن الأمر ليس بالادعاء، وإنما بقيام الدليل تلو الدليل، على بيان ما هم عليه من الاعتقاد، فشمرت عن ساعد الجد، وبدأت بخط اليمين، بعد النظر في كتب الأقدمين والمحدثين، الناهلين من أصول الدين.

---

(١) سورة الأنفال/ ٦٣.

فاتبعت منهج التحليل، في بناء هذا البحث، فأوردته على التقريب من مواطن الصحيح من الأقوال، واعتمدت فيه كتب فطاحل الرجال. فأتى بحول الله وقوته ومنه وفضله، منسجماً، مترابطاً، في فصوله ومباحثه، متسلسلاً بأخذ فكرة عن نشأة الفكر الإسلامي، ونشأة المصطلح فيه، فكانت مقدمة لدراسة هذا المصطلح (أهل السنة والجماعة)، فحللته إلى ألفاظه الأولية، ثم دلالات هذه الألفاظ، كل على حدة، ولدى إضافة ألفاظه إلى بعضها، برز هذا المصطلح، الذي يعبر من خلاله عن بيان طريق المسلمين، المتمسكين بالكتاب والسنة.

واعتمدت في دراستي الكتب المعتبرة من كتاب العقائد، والكتب الدارسة للفرق، كما اعتمدت المصادر الحديثة التي تكلمت في مضامين الفكر قاطبة، وتطوره عبر الحقب الزمنية المتعاقبة.

من أهمها: اللمع في قواعد العقائد لإمام المتكلمين عبد الملك الجويني، وكتابه الإرشاد، وقواعد العقائد، وشرحها، للإمامين الجليلين، الإمام الغزالي، صاحب متن قواعد العقائد، وشارحه الإمام الزبيدي، في إتحاف السادة المتقين، وغيرها، من مراجع علم الكلام. ومن كتب الفرق، كتاب الفرق بين الفرق للإمام عبد القاهر البغدادي، الذي لم يؤلف مثله كما قال عنه أبو المظفر الاسفرائيني، ثم كتاب التبصير في الدين لأبي مظفر الاسفرائيني، والملل والنحل للشهرستاني، وغيرها من مراجع كتب الفرق، وبيان الفرقة الناجية.

وكانت خطتي في البحث كالآتي:

قسمته إلى ثلاثة فصول ومقدمة وخاتمة.

الفصل الأول: تمهيد: الفكر الإسلامي ومصطلحه (قراءة تاريخية). وفيه ثلاثة مباحث.

المبحث الأول: نشوء الفكر الإسلامي.

المبحث الثاني: المصطلح في الفكر الإسلامي.

المبحث الثالث: نشوء مصطلح أهل السنة والجماعة.

الفصل الثاني: وفيه مبحثان أهل السنة والجماعة بنية المصطلح.

المبحث الأول: بنية المصطلح الشكلية.

المبحث الثاني: بنية المصطلح المفهومية.

الفصل الثالث: أهل السنة والجماعة الدلالة والمضمون وفيه ثلاثة مباحث.

المبحث الأول: من هم أهل السنة والجماعة؟

المبحث الثاني: فكر أهل السنة والجماعة.

المبحث الثالث: أهل السنة والجماعة عند الجمهور.

الخاتمة وفيها خلاصة ما توصل البحث إليه.

هذا والله يقول الحق وهو يهدي السبيل هو نعم المولى ونعم النصير.

د. صالح خليل حمودي

الفصل الأول

تمهيد

الفكر الإسلامي ومصطلحه - قراءة تأريخية

الفِكر: بالكسر تردد القلب بالنظر والتدبر لطلب المعاني، ولي في الأمر (فِكْرٌ) أي نظر ورَوية، والفَكر: بالفتح مصدر (فَكَرْت) في الأمر من باب ضَربَ و(تفكّرت) و(أفكرت) بالألف و(الفكرة) اسم من (الافتكار) مثل العبرة والرحلة من الاعتبار والارتحال وجمعها (فكرٌ) مثل سدرة وسِدَرٍ، ويقال الفكر ترتيب أمور في الذهن يتوصل بها إلى مطلوب يكون علماً أو ظناً[1].

ولَمّا كان الفكر بهذا المعنى، نلحظ أنه قد أخذ بحظٍ وافرٍ من القرآن الكريم والسنة النبوية، فقد حث الإسلام الإنسان على التفكر والتدبر، منذ أن نزل القرآن على قلب رسول الله ﷺ.

قال تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[2].

وقوله: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَأَيَٰتٍ لِّأُو۟لِي ٱلْأَلْبَٰبِ ۝١٩٠ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾[3].

فالتفكر في خلق الله للسموات والأرض وما يقع عليها من أحداث، أمرٌ لا يحده عائق من اختلاف الزمان والمكان وماهية الأشياء. هي عبادة حرة طليقة حرية الإدراك وانطلاق الخيال المؤمن.

فمن ناحية تحرر الفكر من قيد الزمان والمكان فإن القرآن الكريم يحض عليه ابتداءً من بداية الخلق[4].

---

(١) المصباح المنير، أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي ت ٧٧٠هـ، المكتبة العلمية بيروت، مادة الفِكر.

(٢) سورة الجاثية/ ١٣.

(٣) سورة آل عمران/ ١٩٠-١٩١.

(٤) ينظر: التفكر من المشاهدة إلى الشهود، الدكتور مالك بدري، معهد الفكر الإسلامي، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م: ٧٢؛ تاريخ الفكر العربي إلى عصر ابن خلدون، عمر فروخ، دار العلم الملايين، ط ١، ١٩٧٢: ٢٧٠.

قال تعالى: ﴿قُلْ سِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْآخِرَةَ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾(١).

وكما يحض المؤمنين على التفكر في حاضرهم، يذكرهم أيضاً بتدبر مصائر الأمم الغابرة التي طواها الزمن وحصد ديارها.

﴿أَوَلَمْ يَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾(٢).

وكما يأمرهم بالتدبر في الدنيا يدعوهم إلى التفكر في الآخرة:

﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْآيَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١٩﴾ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ﴾(٣).

ذلك بأن التفكر المحدود بالدنيا لا يكون إلا تصوراً مبتوراً للكون، ومفهوماً مشوهاً لحقيقة الوجود الإنساني، فالمؤمن مأمور بالتدبر في خلق الله من بداية الخلق إلى الآخرة.

أما التفكر بالغيبيات وحدوده فإننا نقف عند قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾(٤)، فقد جعل الله تعالى حرية التفكير والتفكر، مقيدة بقيد التفكر في ذاته العلية، لأنه فوق تصور الإنسان: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾(٥).

فهذه الآيات الكثيرة التي تحثنا على التفكر والتدبر والنظر تعطي مؤشراً واضحاً لاهتمام القرآن الذي هو دستور المسلمين بالفكر ودفع عجلته وإطلاقه في الزمان والمكان وتوقفه عند الحدود.

---

(١) سورة العنكبوت/ ٢٠.

(٢) سورة الروم/ ٩.

(٣) سورة البقرة/ ٢١٩-٢٢٠.

(٤) سورة الشورى/ ١١.

(٥) سورة الأنعام/ ١٠٣.

لذا لم نرَ الفكر ينحصر في شيء واحد بل يعم الأشياء كلها. ونسبة الفكر إلى الإسلام وثيقة، لكنني رغم بحثي لم أجد لهذا المصطلح مكاناً عند الأقدمين، وبمعنى أصح لم يتبلور عندهم، بل وجدت التعبير عنه بالعقل الذي هو رديف النقل، والمفصل لمجمله، وكذا مفردة الفكر ومشتقاتها مجردة الإضافة، بل رأيت هذا المصطلح جديداً، متبلوراً مع معطيات الفكر الحديث، إذ يشكل الإضافة نداً أو معارضاً لما يسمى «الفكر الغربي». ولست أعني بالندية والمعارضة ما يشكل تضاداً، ولكن ما يشكل الخصوصية في المنهج والطريق.

وهناك من عارض هذا المصطلح بل ردّ عليه وهذا ما يشكل إشكالاً في تحديد هذا المصطلح.

وما أراه أن المصطلح لا يشكل تقاطعاً مع معطيات المنهج الإسلامي من كتابٍ وسنة وإجماعٍ، بل ينسجم تماماً مع هذه المعطيات، وذلك:

١- وجود مادة التفكر والفكر ومشتقاتها في القرآن بصورة مستكثرة.

٢- الحث الواضح من القرآن والسنة على التدبر والتفكر في آيات الله.

٣- الثناء على أصحاب العقول وأن آيات القرآن لا يدركها ويسبر أغوارها إلاّ أصحاب العقول الراجحة.

والفكر هو العطاء الإنساني بشتى نواحي العلوم في الحياة، والذي يصقله ويهذبه، ويقيم شططه، النقل الذي نعني به الكتاب والسنة. فهو يسبح في كل الجنبات محاطاً بالرعاية الربانية فلا يطلق له العنان إلاّ في حدود قدراته، ولا يقاطعه إلاّ إذا تجاوز حدود طاقاته. فالفكر الإسلامي هو العطاء الثر الذي أعطى الإنسان كل مستلزمات الحياة وهو جهد إنساني ينبثق من إعمال العقل.

أما إضافة الفكر إلى الإسلام، فلاكتساب الخصوصية المستوحات من أصول ومصادر الإسلام الكتاب والسنة وأقوال أئمة المسلمين ونتاجهم العلمي.

ولابد من ملاحظة أن الفكر بحد ذاته لا يكون عربياً أو إسلامياً ولا إفرنجياً ولا شرقياً من أجل ذلك تتأثر آراء المفكر بعوامل من البيئة الطبيعية والاجتماعية. فإذا نحن قلنا: تاريخ الفكر العربي، أو تاريخ الفكر اليوناني، أو تاريخ الفكر الهندي، فإننا لا نقصد النسبة إلى الجنس ولا إلى الدولة، وإنما نقصد الإشارة إلى العوامل الاجتماعية. وتاريخ الفكر عند العرب كان مثلاً صحيحاً لهذه الحقيقة، فالفارابي[١] تركي والغزالي[٢] فارسي والمعري[٣] عربي وابن باجه[٤] فرنجي والمهدي بن تومرت هرغي[٥] من البربر، ومع ذلك كتبوا كلهم بالعربية واتفقوا في أشياء واختلفوا في أخرى. غير أن اتفاقهم واختلافهم لم يكن بعامل الجنس الذي كانوا ينتمون في الأصل إليه، بل بعوامل البيئة والعصر الذي عاش كل واحد منهم فيهما، وبعناصر شخصيته من الاستعداد الفطري الذي لا يدَ للجنس فيه. والفكر حركة عقلية لا تجري في التاريخ مستقلة[٦].

وقد وردت تسمية الفكر مجردة ومضافة كما قال ابن خلدون في مقدمته معنوياً في الفصل الحادي عشر في أن عالم الحوادث الفعلية إنما يتم بالفكر. وقد ذكر العنوان على النحو التالي: فصل في الفكر الإنساني[٧]. وقد ذكر فيه: أن الحيوان عندما فقد الفكر سخر للإنسان فقال: فكانت مسخرة للبشر، واستولت أفعال البشر على عالم الحوادث بما فيه، فكان كله في طاعته وتسخيره، وهذا معنى الاستخلاف المشار إليه في قوله تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾[٨]، فهذا هو الفكر الخاصية البشرية التي تميز بها البشر عن غيرهم من الحيوان.

---

(١) الفارابي: محمد بن محمد بن طرخان بن أوزلغ الفارابي (ت ٣٣٩هـ-٩٥٠م). ينظر ترجمته: تاريخ الفكر العربي: ٣٥٢.

(٢) الغزالي: محمد بن محمد بن محمد الغاري الطوسي أبو حامد حجة الإسلام (ت ٥٠٥هـ-١١١١م). ينظر: الأعلام قاموس تراجم، خير الدين الزركلي، ط ٣: ٧/ ٢٤٧.

(٣) المعري: أحمد بن عبد الله التنوخي المعري، شاعر وفيلسوف (ت ٣٦٣هـ). ينظر: الأعلام: ١/ ١٥٠.

(٤) ابن باجة: محمد بن يحيى (ت ٥٣٣). ينظر: الأعلام: ٢/ ٤.

(٥) المهدي بن تومرت: محمد بن عبد الله بن تومرت (ت ٥٢٤هـ). وينظر: الأعلام: ٨/ ٢٢٥.

(٦) تاريخ الفكر العربي إلى عصر ابن خلدون: ٦-٧.

(٧) المقدمة، عبد الرحمن بن خلدون، دار الكتاب اللبناني، ١٩٨٢: ٨٣٨.

(٨) سورة البقرة/ ٣٠.

وقد اهتم الباحثون في القرن الثامن عشر في العقدين الأخيرين منه بهذا المصطلح وقد جاء في كتابات الكثير من المفكرين والعلماء، فأصبح مصطلحاً متعارفاً لدى المهتمين بهذا الشأن، فدرسوا هيكلية وشكلية ومنهجية هذا المصطلح وما فيه من إشكاليات في حده ومضمونه.

المبحث الأول

نشوء الفكر الإسلامي وتطوره

الآيات التي تحدثت عن التفكر كما مرّ كثيرة، وكذلك آيات العلم والعقل، أي ما ذكر فيها العقل واللب والعلم.

قال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾(١).

ومع أن محمداً رسول الله قد بُعث ليعلمنا الشرائع(٢)، فإن الله قد علمنا بوساطته كثيراً من جوانب العلم والمعرفة ومن المعارف(٣).

جاء الوحي بأمور لم تعرفها العرب من قبل، فغير أنماط حياتهم، ومجريات الأمور لديهم وصحح مفاهيمهم، وأسس قواعد العقائد فيهم، وأشغل عقولهم، بل أوجب عليهم تعلم ما لم يعلموه من أمور الدين والدنيا. فسار ركبهم في مواكبة نشوء فكرهم الموجه بالوحي الإلهي من كتاب وسنة، وجاءت المفاهيم وأرسيت القواعد والثوابت، ودار حولها من انتهض من أبناء الأمة على دهورها المتعاقبة.

وأعطى الإسلام المجال أمام الإبداع الإنساني، بل حَثه عليه وأمره بمواصلة السعي للوصول إليه.

فمنذ اللحظات الأولى للوحي جاء الأمر بقوله تعالى: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾(٤).

---

(١) سورة الزمر/ ٩.

(٢) ينظر: المقدمة، ابن خلدون: ٩١٩.

(٣) ينظر: تاريخ الفكر العربي، عمر فروخ: ١٨١.

(٤) سورة العلق/ ١-٥.

وقوله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ ۝٤ ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ بِحُسۡبَانٖ﴾[1].

وقوله: ﴿نٓۚ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ﴾[2].

فمنذ بدايات ظهور هذا الدين نشأ الفكر الإسلامي، الذي أعطى الإنسان دوره ليبدع، ويُؤسس فِكراً له خصوصيته، له الصدارة، وله القيادة للبشرية جمعاء.

ولقد مرّ الفكر عند المسلمين بمراحل من أهمها مرحلة الابتداء، كما مرّ بنا من اهتمام القرآن والسنة ببناء هذا الفكر في أعلى درجات الكمال، معصوماً بالوحي، ذا عطاء لا ينتهي، وذا بُعدٍ عميقٍ، وفهمٍ دقيقٍ مع متابعة الحقيقة أو الاقتراب منها.

المرحلة الأولى: هي مرحلة بدء الوحي وقد مرت الإشارة إليها بأن الوحي جاء بأسس هذه المفاهيم، فأسس هذا الفكر على ثوابت لا يتجاوزها، وأرجع النصاعة لدين التوحيد، وطهر الاعتقاد من أدران الشرك والوثنية.

المرحلة الثانية: لمّا لحق الرسول ﷺ بالرفيق الأعلى ظهرت بوادر الخلاف في تحديد من يكون الخليفة لرسول الله ﷺ. فظهرت قضية إمامة المسلمين، ولقد اختلف رؤساء الجماعة في المدينة على من يخلفه فحسم عمر بن الخطاب ﷺ الخلاف بمبايعة أبي بكر الصديق ﷺ، وظهرت في زمن حكمه الفتنة الأولى وهي الردة. فرفضوا الإذعان للمدينة كما امتنعوا عن أداء الزكاة، فحاربهم أبو بكر ﷺ وردهم إلى ما كانوا عليه أيام الرسول ﷺ.

قتل في حرب الردة عدد كبير من حفظة القرآن وخيف أن يضيع القرآن فأمر أبو بكر ﷺ بجمع القرآن الكريم في مصحف واحد، بعد أن كان مفرقاً في صحف متفرقة، وفي صدور الرجال وبدأت سياسة الفتوح لنشر الإسلام، كما أمرهم الله تعالى فبادر ﷺ ومنذ أيامه الأولى بإرسال الجيوش لفتح العراق وبلاد الشام وما لبث أن توفي ﷺ.

---

(١) سورة الرحمن/ ١-٥.

(٢) سورة القلم/ ١.

وبدأت حياة عمر بن الخطاب ﷺ واتخذت الدولة الإسلامية شكلها الجديد في العشر سنوات وأصبحت هذه الدولة مهابة الجانب(١).

وفي زمن هذين الشيخين، طرأت على الناس مسائل عدة، اقتضت منهم النظر واستخدام الرأي ففعلوا لا يرون عليهم في ذلك إثماً ولا حرجاً جرياً على سنة الدين في مخاطبة العقول والتعويل على النظر(٢).

وبعد تولي عثمان بن عفان ﷺ اتسعت الفتوح، وأعاد عثمان جمع القرآن الكريم ورتب سوره على النحو الذي نراه وفي عهده ثارت الفتنة، وكان ضحيتها قتل الخليفة، فنشأت، مسألة قتله وما هو المسوغ الشرعي لقتله، وظهر من يطالب بدمه.

كما ظهرت فئات أجنبية ادعت حب علي وآل بيته (كعبد الله بن سبأ)(٣) وكان يهودياً ثم أسلم، وأشعل هو نار الفتنة والمطالبة بإقصاء عثمان ﷺ، وبعد مقتله حصل الخلاف بين المسلمين، فحدثت معركة الجمل التي كان فيها الزبير وطلحة وأم المؤمنين عائشة ﷺ من جهة، وعلي بن أبي طالب ﷺ من جهة، ثم حدث في زمن علي ﷺ وقعة صفين معاوية ومن معه وعلي ﷺ ومن معه.

وحصل التحكيم بينهما في رفع المصاحف واختيار حكمين من الصحابة، فمن جهة علي ﷺ الصحابي أبو موسى الأشعري، ومن جهة معاوية عمرو بن العاص ﷺ، وتوقف القتال.

---

(١) ينظر: الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية منهم، أبو منصور عبد القاهر بن طاهر البغدادي (ت ٤٢٩هـ)ن تحقيق الشيخ محمد زاهد الكوثري، مكتب نشر الثقافة الإسلامية، ١٣٦٨هـ-١٩٤٨م: ١٦-١٧؛ ينظر: التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين، الإمام أبو المظفر الاسفرائيني (ت ٤٧١هـ)، تحقيق كمال الحوت، عالم الكتب، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م: ١٩؛ ينظر: تاريخ الفكر العربي، عمر فروخ: ١٨٣؛ محاضرات في الفرق الإسلامية، د. ضاري محمد الحياني: ٢-٣.

(٢) ينظر: أصول الدين، د. رشدي عليان ود. قحطان الدوري، وزارة التعليم العالي، ط ٤، ١٩٩٠: ٢٩ وما بعدها.؛ ينظر محاضرات في الفرق الإسلامية: ٢

(٣) عبد الله بن سبأ: رأس الطائفة السبئية أصله من اليمن كان يهودياً وأظهر الإسلام (٤٠هـ). ينظر: الأعلام: ٤/ ٢٢٠.

وظهرت فرقة معارضة لهذا التحكيم أدى بها الحال إلى تكفير الصحابة، وسميت هذه الفرقة (بالخوارج) أي الذين خرجوا على الإمام وتبلورت هذه الدعوة، حتى أصبح لها آراء في الاعتقاد، ومن أبرز آرائهم تكفير مرتكب الكبيرة.

وقد تمكن الخوارج من اغتيال سيدنا علي ﷺ بإرسال عبد الرحمن بن ملجم[١] ليقوم بهذه الجريمة، وبهذا انتهى عهد الخلافة الراشدة[٢].

وقد ظهر في هذه الفترة، نوع من الجدل، وأثيرت جملة من التساؤلات التي كانت تدور في أذهان الناس حتى في عهد رسول الله ﷺ. فقد ورد عن رسول الله ﷺ عن عبد الله بن عمر ﷺ قال: هَجَّرت إلى رسول الله ﷺ يوماً فسمع صوت رجلين اختلفا في آية فخرج يعرف في وجهه الغضب، فقال: «إنما هلك من كان قبلكم باختلافهم في الكتاب»[٣].

وعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: «إذا رأيت الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمّى الله فاحذرهم»[٤].

ويستنتج من هذين الحديثين أن التساؤل والجدل بدأ يظهر وأخذ يلح على بعض المسلمين في عصر الرسالة. وبعد وفاته ﷺ بدأت بوادر هذه الأفكار تظهر على شكل مذاهب لها من يتبناها.

---

(١) عبد الرحمن بن ملجم المرادي التدؤلي الحميري قتل الإمام علي ﷺ (ت٤٠هـ-٦٦٠م). ينظر: الأعلام: ٤/ ١١٤.

(٢) ينظر: الملل والنحل، محمد بن عبد الكريم الشهرستاني، دار المعرفة، ط ٢، ١٣٩٥هـ-١٩٧٥م: ١/ ١٥٤؛ تاريخ الفكر العربي، عمر فروخ: ١٨٤ وما بعدها؛ ومحاضرات في الفرق الإسلامية، د. ضاري الحياني: ٣.

(٣) رواه البخاري ومسلم في صحيحه في كتاب العلم.

(٤) رواه البخاري في صحيحه.

الحركة الفكرية في عصر الخلفاء الراشدين[١]:

اشتهر الصحابة بتفسير القرآن ورواية الحديث وبالفقه، كأبي بكر وعمر وطلحة والزبير وعبد الله بن عمر وعبد الرحمن بن عوف وأبي الدرداء وعبد الله بن مسعود وعائشة وأبي هريرة وأنس بن مالك.

فقد اشتهر أبو بكر بعلم الأنساب، وعمر بآداب السفارة ومعاذ بن جبل بالقضاء وسمي عبد الله بن عباس ترجمان القرآن. وكان لأبي بن كعب كتاب فضائل القرآن[٢].

المرحلة الثالثة (الدولة الأموية): بدأت الحركة الفكرية تتبلور في عهد هذه الدولة وتأخذ أشكالاً مضافة إلى ما كان عليه الخلفاء الراشدون، وظهرت هناك أنماط مخالفة لما كان عليه الصحابة في عهد الخلافة الراشدة.

ففي الحياة السياسية ظهور الوراثة في الحكم وأخذ البيعة لابن الخليفة من الناس، وظهرت ولاية العهد.

ونشط العلماء في هذا العهد تدويناً وكتابة، فقد أمر عمر بن عبد العزيز[٣] بكتابة وتقييد السنة النبوية، وكان هو أحد الفقهاء. وقد ظهرت جملة ممن ألف العلوم ومنهم: صحار بن العباس العبدي ألف كتاب الأمثال[٤]، وزياد بن أبيه ألف كتاباً في المثالب أي معايب العرب[٥].

واشتهر أبو الأسود الدؤلي المتوفي في البصرة سنة ٦٩هـ بأنه أول من ألف في النحو، وقد قسم الكلام إلى ثلاثة أقسام: اسمٍ وفعلٍ وحرف[٦].

---

(١) ينظر: تاريخ الفكر العربي، عمر فروخ: ١٩٥.

(٢) ينظر: الفهرست، ابن النديم، دار المعرفة للطباعة والنشر: ٥٥.

(٣) عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم الأموي القرشي الخليفة الصالح (ت ١٠١هـ-٧٢٠م). ينظر: الأعلام: ٥/ ٥٠.

(٤) صُحار بن عياش أو العباس بن شرحبيل بن منقذ العبدي، خطيب مفوه من شيعة عثمان (ت ٤٠هـ-٦٧٣م). ينظر: الأعلام: ٣/ ٢٨٧؛ ينظر: الفهرست: ١٣٢.

(٥) زياد بن أبيه: من دهاة العرب وأحد القادة الفاتحين الولاة (ت ٥٣هـ). ينظر: الأعلام: ٣/ ٨٩؛ ينظر: الفهرست: ١٣١.

(٦) أبو الأسود الدؤلي: ظالم بن عمرو بن سفيان (ت ٦٩هـ). ينظر: الأعلام: ٣/ ٢٤. ينظر: الفهرست: ٦١.

ومن أشهر المحدثين والفقهاء: عروة بن الزبير (ت ٩٣هـ) وهو شقيق عبد الله بن الزبير وأبوهما الزبير بن العوام وأمهما أسماء بنت أبي بكر ﷺ.

ومن مؤلفي التفسير عكرمة[١] (ت ١٠٥هـ) له تفسير القرآن، والحسن البصري وله كتاب في التفسير، ومكحول الشامي[٢] (ت ١١٢هـ) وله كتاب السنن في الفقه والمسائل[٣] في الفقه. والإمام الزهري ابن شهاب[٤] (ت ١٢٤هـ) جمع أحاديث النبي بإيعاز من عمر بن عبد العزيز رحمه الله (ت ١٠١هـ)[٥].

نشأة علم الكلام: نشأ علم الكلام في مدى قرن من الزمان بعد معركة صفين (٣٦هـ) جدالاً عاماً ثم انتهى قبل سقوط الدولة الأموية (١٣٢هـ) فناً مستوياً له منهاجه وقضاياه المعينة ويبدو لنا أن جميع القضايا الأساسية لعلم الكلام نبعت في هذا الدور.

فقد ظهرت حركات ومذاهب شتى في العصر الأموي ونهاية عهد الخليفة الراشد علي بن أبي طالب ﷺ، منها:

الخوارج[٦]: وهي الفئة الخارجة عن أمير المؤمنين وتبلورت هذه الفرقة لتصبح لها آراء في العقائد والفقه وغيرها من العلوم، ومن آرائهم:

١- تكفير الذين اشتركوا في معركة الجمل.

٢- تكفير القعَد الذين يقعدون عن قتال مخالفيهم.

٣- إباحة قتل أطفال المخالفين لهم ونسائهم، والقول بأن أطفال المشركين في النار مع آبائهم.

---

(١) عكرمة: بن عبد الله البربري المدني مولى عبد الله بن عباس، تابعي كان أعلم الناس بالتفسير (ت ١٠٥هـ). ينظر: الأعلام: ٤/ ٢٤٤.

(٢) مكحول الشامي: هو ابن أبي مسلم الهذلي (ت ١١٢هـ-٧٣٠م). ينظر: الأعلام: ٨/ ٢١٢.

(٣) ينظر: الفهرست: ٣١٨.

(٤) الإمام الزهري: محمد بن مسلم بن عبد الله بن شهاب الزهري (ت ١٢٤هـ-٧٤٢م). ينظر: الأعلام: ٧/ ٣١٧.

(٥) ينظر: الفهرست: ١٩٩.

(٦) الخوارج: ينظر: الملل والنحل: ١/ ١٥٤.

٤ - مرتكب الكبيرة كافر كفراً يخرج من ملة الإسلام ويخلّد في النار.

الشيعة[(١)]: ظهرت الشيعة وأخذت شكلها في عصر بني أمية إلاّ أنهم اختلفوا في بدايتها. فقسم ذهب إلى أنها ظهرت في عهد رسول الله ﷺ ومنهم من قال في عهد عثمان ﷺ، ومنهم من قال في عهد علي ﷺ، ومنهم من قال بعد استشهاده، ومنهم الزيدية[(٢)] أتباع زيد بن علي بن الحسين بن علي[(٣)] استشهد في (١٢٢هـ).

والإمامية الذين يعتبرون الإمامة أصل من أصول الدين بالنص والتعيين وآرائهم الكلامية على مذهب المعتزلة.

وهناك الشيعة الغلاة: كالإسماعيلية[(٤)] والسبئية[(٥)] وغيرها ممن اعتبروا بأن الإمام علي هو إله[(٦)].

وظهرت الجبرية[(٧)] وهم أتباع الجهم بن صفوان[(٨)] والجعد بن درهم ويرون أن الإنسان مجبور على فعله.

---

(١) الشيعة: هم الذين شايعوا علياً ﷺ على الخصوص وقالوا بإمامته نصاً ووصاية. الملل والنحل: ١/ ١٩٥.

(٢) الزيدية: أتباع زيد بن علي بن الحسين ويعدون من فرق الشيعة. ينظر: الملل والنحل: ١/ ٢٠٧.

(٣) زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ﷺ الإمام يقال له زيد الشهيد (ت ١٢٢هـ-٧٤٠م). ينظر: الأعلام: ٣/ ٩٨.

(٤) الإسماعيلية: قالوا إن الإمام بعد جعفر الصادق إسماعيل نصاً باتفاق أولاده. ينظر: الملل والنحل: ٢/ ٥.

(٥) السبئية: هي فرقة من الروافض أظهروا بدعتهم في زمان علي بن أبي طالب فقال بعضهم لعلي أنت الإله فأحرق علي قوماً منهم ونفى ابن سبأ إلى ساباط المدائن وهذه الفرقة ليست من فرق أمة الإسلام. ينظر: الفرق بين الفرق: ١٨.

(٦) تاريخ الفكر العربي: ٢١١؛ محاضرات في الفرق الإسلامية: ١١.

(٧) الجبرية: الجبر هو نفي الفعل حقيقة عن العبد وإضافته إلى الرب، والجبرية أصناف: فالجبرية الخالصة هي التي لا تثبت للعبد فعلاً ولا قدرة على الفعل أصلاً. ينظر: الملل والنحل: ١/ ١٠٨؛ الفرق المفترقة بين أهل الزيغ والزندقة، أبو محمد عثمان بن عبد الله بن الحسن العراقي، تحقيق الدكتور يشار قوتلو آي، منشورات كلية الإلهيات في جامعة أنقرة: ٧٣.

(٨) الجهم بن صفوان: المكنى بأبي محمد وكان مولى لبني راسب وقد ظهر مذهبه بترمذ. ينظر الملل والنحل، الشهرستاني: ١/ ١٠٩.

الجعد بن درهم: مولى لأبي الحكم بدمشق وقد قتله والي العراق خالد القسري. التبصير بالدين: ٢١.

وظهرت القدرية[١] وهم يشكلون الضد من المذهب الجبري وهم أتباع غيلان الدمشقي[٢]، ومعبد الجهني وهم يذهبون إلى أن الإنسان مختار غير مجبور.

والمرجئة: وهو اسم لعدد من الفرق تقول بتأجيل الحكم على مرتكب الكبيرة إلى يوم القيامة، فالله هو الذي يحكم على أعمال العباد، ووقف المرجئة هذا الموقف هرباً من الثورة على بني أمية ومن أشهرهم ثابت بن قطنة (ت ١١٠هـ)[٣].

أهل الحديث وأصحاب الرأي: كان أهل الحديث، يعتمدون في قضايا الاعتقاد والفقه على تفسير القرآن الكريم وأحاديث النبي ﷺ لا يعدونها، وكان هؤلاء أهل الحجاز خاصة، إذ كانت الأحاديث شائعة عندهم.

أما أصحاب الرأي، فكانوا في الأكثر في العراق، حيث كان الحديث قليل الشيوع[٤] فاعتمدوا القياس وجعلوا يفتون في قضايا الفقه خاصة بالرأي وشاع القول بالرأي وكثر أصحابه واشتهروا في صدر الدولة العباسية.

بوادر الاعتزال: قال الشهرستاني: إن مذهب الاعتزال نبع من مجلس الحسن البصري وذلك «دخل واحدٌ على الحسن البصري[٥] فقال: يا إمام الدين، لقد ظهرت في زماننا جماعة يكفّرون أصحاب الكبائر، والكبيرة عندهم كفر يخرج بها عن الملة وهم، وعيدية الخوارج، وجماعة يرجئون أصحاب الكبائر والكبيرة عندهم لا تضر مع الإيمان والعمل على مذهبهم ليس ركناً من الإيمان، ولا يضر مع الإيمان معصية كما لا ينفع مع الكفر طاعة، وهم مرجئة الأمة، فكيف تحكم لنا في ذلك اعتقاداً؟

---

(١) القدرية: كانوا يخوضون بالقدر والاستطاعة. ينظر: التبصير بالدين: ٢١.

(٢) غيلان بن مروان مولى سيدنا عثمان ﷺ كان يعرف بغيلان القدري. قتله الوليد بن عبد الملك. ينظر: الملل والنحل: ١/ ٣٠.

معبد الجهني: وهو أول من قال بالقدر وقال بخلق القرآن، قتله الحجاج بن يوسف الثقفي سنة ٨٠هـ. ينظر: الملل والنحل: ١/ ٣٠.

(٣) ثابت بن قطنة: العتكي من الأزد. ينظر: الأعلام: ٢/ ٨٢؛ الملل والنحل، محمد بن عبد الكريم الشهرستاني، دار المعرفة، ط ٢: ١٧٥/ ١٩٤؛ الملل والنحل: ١٧٥/ ١٩٤.

(٤) ينظر: المقدمة: ٧٩٩.

(٥) الحسن البصري: هو ابن يسار أبو سعيد تابعي كان إمام البصرة وحبر الأمة (١١٠هـ-٧٢٨م). ينظر: الأعلام: ٢/ ٤٢.

فتفكر الحسن في ذلك، وقبل أن يجيب قال واصل بن عطاء[1] وهو تلميذ له ومن أهل حلقته (ت ١٣١هـ): أنا لا أقول إن صاحب الكبيرة مؤمن مطلق ولا كافر مطلق بل هو منزلة بين منزلتين، لا مؤمن ولا كافر. ثم قام واعتزل إلى أسطوانة من أسطوانات المسجد يقرر ما أجاب به على جماعة من أصحاب الحسن، فقال الحسن: اعتزل عنا واصل، وأصحابه معتزلة»[2].

ومن أهم رجال الاعتزال عمرو بن عبيد[3] (ت ١٤٢هـ) في زمن المنصور[4].

أما أهم أصولهم: أصل التوحيد أن الله واحد في ذاته لا قسيم له ولا صفة له وواحد في أفعاله لا شريك له فلا قديم غير ذاته، ولا قسيم له في أفعاله ومحال وجود قديمين.

أصل العدل: العدل وما يقتضيه العقل من الحكمة وهو إصدار الفعل على وجه الصواب والمصلحة.

أصل الوعد والوعيد: هذا الأصل تابع في حقيقته للعدل وأصل العقل عندهم المعارف كلها معقولة بالعقل واجبة بنظر العقل وشكر المنعم واجب قبل ورود السمع والحسن والقبح صفتان ذاتيتان للحسن والقبيح وحكم العقل مقدم على الخبر الديني إذا كان الخبر الديني مناقضاً للعقل. والمنزلة بين منزلتين[5]:

المرحلة الرابعة (الدولة العباسية): كان الفكر في هذه المرحلة قد قطع أشواطاً بعيدة وعلى الرغم من أن الحياة الاجتماعية والسياسية والإدارية، تتقلب صعوداً وهبوطاً، ولكن الفكر كان في معظم الأحيان يرقى متبدياً في صور متعددة من العلوم[6].

---

(١) واصل بن عطاء الغزّال أبو حذيفة من موالي بني ضبة رأس المعتزلة (ت ١٣١هـ-٧٤٨م). ينظر: الأعلام: ٩/ ١٢١.

(٢) الملل والنحل، الشهرستاني: ١/ ٦٠.

(٣) هو عمرو بن عبيد التيمي بالولاء أبو عثمان شيخ المعتزلة في عصره (ت ١٤٢هـ-٧٦١م). ينظر: الأعلام: ٥/ ٨١.

(٤) المنصور العباسي: عبد الله بن محمد بن علي بن العباس أبو جعفر المنصور ثاني خلفاء بني العباس (ت ١٠٨هـ). ينظر: الأعلام: ٤/ ٢٥٩.

(٥) الملل والنحل: ١/ ٥٣.

(٦) الفرق بين الفرق: ٧١؛ الفكر العربي إلى زمن ابن خلدون: ٢٣٧.

وشهدت هذه المرحلة تشجيعاً للعلوم والمعارف من قبل الخلفاء والأمراء والوزراء وشهد العالم الإسلامي نهوضاً فكرياً وحضارياً كبيراً جداً.

نشوء المذاهب الإسلامية: في هذه الأثناء كانت قد نشأت مذاهب إسلامية تتفق في العقائد وفي أصول الفقه وتختلف في فروعه وفي عدد من تفاصيل العبادات والمعاملات.

وكان لنشوء هذه المذاهب سندٌ من اختلاف الأحوال الاجتماعية وتطور البيئة تطوراً نبتت في أثنائه مسائل فرعية لم يكن شيء منها أو مثلها في أيام الرسول ﷺ.

وكذلك كان للسياسة أثر في نشوء المذاهب، وكما كان لنشوء هذه المذاهب نتائج سياسية، وخصوصاً بين الذين تطرفوا في الاجتهاد والتأويل حتى أصبحوا أقرب إلى أن يكونوا أصحاب فرق منهم إلى أن يكونوا أتباع مذاهب.

وكانت مصادر التشريع التي اختلف فيها الفقهاء في تأويلها لتطبيقها في الحياة ثم أدى الاختلاف في تأويلها إلى نشأة المذاهب الأربعة:

١- القرآن الكريم.

٢- السنة النبوية: هي أقوال وأفعال وتقريرات الرسول ﷺ.

٣- الإجماع: اتفاق أهل الحل والعقد على أمر من الأمور في عصر من العصور.

٤- القياس: اجتهاد شخصي لفقيه من الفقهاء مبني في أساسه على القرآن والسنة.

أما المذاهب فهي متعددة:

١- من أقدم المذاهب المذهب الحنفي لصاحبه أبي حنيفة النعمان بن ثابت (ت ١٥٠هـ)، وهو يشكل مدرسة الرأي إذ كثيراً ما كان يأخذ بالرأي وتحكيم العقل والعادة مع اعتماده على السنة المطهرة.

٢- مذهب الإمام مالك بن أنس (ت ١٧٩هـ) إمام دار الهجرة الذي اعتمد الحديث ولم يعتمد الرأي، غير أنه أدرك أن تطور الحياة الاجتماعية يقتضي التوسع في مصادر التشريع فاعتمد رأي أهل المدينة ثم رأى الإمام مالك أنه لا يزال تحت حاجة، فتوسع في المصادر فقال بالمصالح المرسلة وذلك في المعاملات مبنية على أصل تراضي الناس تسهيلاً للمصلحة وجلباً للمنفعة، إذ لم يتعرض لها الشرع بنفي أو إثبات.

٣- مذهب الإمام الشافعي محمد بن إدريس الشافعي (ت ٢٠٤هـ) أحد أتباع الإمام مالك، رحل إلى العراق بعد وفاة شيخه ولقي أصحاب أبي حنيفة، فبدا له أن يجمع بين علم أهل الحديث وعلم أهل الرأي ولكنه رد الاستحسان الذي قال به أبو حنيفة وانتقد المصالح المرسلة التي قال بها مالك، ثم استجدت للشافعي آراء خالف فيها أستاذه الإمام مالكاً فنشأ من ذلك مذهبه القديم ولمّا انتقل إلى مصر احتاج إلى تدوين المذهب الجديد.

٤- الإمام أحمد بن حنبل الشيباني (ت ٢٤٧هـ)، والإمام أحمد معدود في أصحاب الحديث لا في الفقهاء أصحاب المذاهب. وكان الإمام أحمد وأصحابه أكثر الناس حفظاً للحديث والسنة.

٥- وهناك مذاهب بادت بترك الناس لها كمذهب محمد بن عبد الرحمن ابن أبي ليلى[١] (ت ١٤٨هـ) ومذهب أبي عمرو عبد الرحمن بن عمر الأوزاعي[٢] (ت ١٥٧هـ) ومذهب سفيان الثوري[٣] (ت ١٦١هـ) ومذهب شريك النخعي[٤] (ت ١٧٧هـ)، ومذهب سفيان بن عيينة[٥] (ت ١٩٨هـ) ومذهب أبي ثور إبراهيم بن خالد البغدادي[٦] (ت ٢٤٠هـ).

٦- وهناك المذهب الظاهري الذي أسسه أبو سليمان داود بن علي الأصفهاني[٧] (ت ٢٧٠هـ) ويأخذون بظاهر النصوص ويرفضون الإجماع إلاّ إذا جاء عن جميع علماء الأمة ويرفضون التقليد والقياس.

---

(١) محمد بن عبد الرحمن ابن أبي ليلى الأنصاري الكوفي القاضي الفقيه (ت ١٤٨هـ-٧٦٥م). ينظر: الأعلام: ٧/ ٦٠.

(٢) ينظر الأعلام: ٤/ ٩٤.

(٣) سفيان الثوري: هو ابن سعيد بن مسروق أمير المؤمنين بالحديث في الكوفة (ت ١٦١هـ-٧٧٨م). ينظر: الأعلام: ٣/ ١٥٨.

(٤) شريك النخعي:هو ابن عبد الله بن الحارث الكوفي عالم بالحديث وفقيه (ت ١٧٧هـ-٧٩٤م). ينظر: الأعلام: ٣/ ٢٣٩.

(٥) سفيان بن عيينة بن ميمون الهلالي الكوفي محدث الحرم المكي من الموالي (ت ١٩٨هـ-٨١٤م). ينظر: الأعلام: ٣/ ١٥٩.

(٦) أبو ثور إبراهيم بن خالد الكلبي البغدادي صاحب الإمام الشافعي كان أحد أئمة الدنيا علماً وفقهاً (ت ٢٤٠هـ-٨٥٤م). ينظر: الأعلام: ١/ ٣٠.

(٧) أبو سليمان داود بن علي بن خلف الأصبهاني الملقب بالظاهري تنسب إليه الطائفة الظاهرية (ت ٢٧٠هـ-٨٨٤م). ينظر: الأعلام: ٣/ ٨.

٧- هناك المذهب الجعفري[١] ومذهب الإمامية[٢] لا يختلف عن المذاهب السنية في باب الأصول إلاّ بالقول بأن الإيمان لا يتم إلاّ بالإقرار بولاية علي بن أبي طالب والعصمة للأئمة من آل بيت النبي ﷺ وكذلك يختلف الشيعة عن السنة في فروع ومسائل في العبادات والمعاملات.

وللشيعة مذهب وسط هو المذهب الزيدي المنسوب إلى زيد بن علي بن الحسين (ت ١٢٢هـ) والذي تطور فيما بعد ثم استقام على القول بصحة إمامة أبي بكر وعمر مع أن الإمام علي عندهم أحق بالإمامة ، وبجواز إمامة المفضول مع وجود الفاضل، والمذهب الزيدي هو أقرب المذاهب الشيعية إلى مذاهب أهل السنة[٣].

أما طلب علم الحديث فقد تطور تطوراً هائلاً في هذا العصر ونشط العلماء في جمعه ونقد رجاله فألفت في ذلك كتبٌ كثيرة جداً.

وكان من أبرزها الكتب الستة والمسانيد والمعاجم وكان من أهمها:

١- كتاب صحيح البخاري المسمى الجامع الصحيح لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري (ت ٢٥٦هـ).

٢- كتاب صحيح مسلم بن الحجاج القشيري (ت ٢٦١هـ).

٣- كتاب السنن أبي داود بن الأشعث السجستاني (ت ٢٧٥هـ).

٤- كتاب السنن لأبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي (ت ٢٧٩هـ).

٥- كتاب السنن لأبي عبد الرحمن أحمد بن علي النسائي (ت ٣٠٣هـ).

---

(١) المذهب الجعفري: هؤلاء أتباع جعفرين: أحدهما جعفر بن حرب الثقفي (ت ٢٣٤هـ)، والآخر جعفر بن مبشر الهمداني (ت ٢٣٦هـ)، وكلاهما للضلالة رأس وللجهالة أس ويقال لهم الجعفرية. الفرق بين الفرق: ١٠١.
وهناك فرقة الباقرية والجعفرية الواقفة أصحاب أبي جعفر محمد بن علي الباقر وابنه جعفر الصادق قالوا بإمامتهما وإمامة والدهما زين العابدين إلاّ أن منهم من توقف على واحد منهما. الملل والنحل: ١/ ٢٢٤.

(٢) مذهب الإمامية: هم القائلون بإمامة علي ﷺ بعد النبي ﷺ نصاً ظاهراً ويقيناً صادقاً من غير تعريض بالوصف بل إشارة إليه بالعين. الملل والنحل: ١/ ٢١٨.

(٣) ينظر: الفكر العربي: ٢٤٦.

٦- كتاب السنن لأبي عبد الله محمد بن يزيد بن ماجه (ت ٢٧٥هـ)(١).

وأما المسانيد والمعاجم فهي كثيرة كذلك المستخرجات والمستدركات وكتب شروح الحديث والاعتناء بالسنة، تطور تطوراً كبيراً في هذه العصور(٢).

أما علم الكلام فقد تطور وأخذ بعداً كبيراً وبرزت على أرض الإسلام فرق كثيرة كان لها مدعوها وأشياعها وأتباعها وهذا التطور الهائل في الفكر الإسلامي - أي معطيات الفكر الإسلامي - الذي يدور حول الأصلين العظيمين الكتاب والسنة.

ثم هناك من شذ عن طريق الكتاب والسنة كالغلاة من الشيعة كالإسماعيلية والنصيرية وغيرها ممن انحرفوا انحرافاً كبيراً عن معطيات الكتاب والسنة، فأولوا وحرفوا بما تهوى أنفسهم وخدمة لمصالحهم فلووا أعناق النصوص، فكانوا غنوصية باطنية مردة عن شرع الله تبارك وتعالى، وهم فرق ضالة عن الإسلام مبتدعة ضالة مضلة.

(١) ينظر: الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث للحافظ محمد بن إسماعيل ابن كثير (ت ٧٧٤هـ)، دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م: ٢٢ وما بعدها؛ وينظر: تدريب الراوي شرح تقريب النواوي، للحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، دار إحياء السنة النبوية، ط ٢، ١٣٣٩هـ-١٩٧٩م: ١/ ٩١ وما بعدها.

(٢) ينظر: الفكر العربي: ٢٤٦.

المبحث الثاني

المصطلح في الفكر الإسلامي

نشأ المصطلح مع نزول الوحي في الفكر الإسلامي، وذلك للتغير الحاصل في استعمال الألفاظ لغير ما وضعت له في الأصل اللغوي، فكل لفظة من الألفاظ القرآنية أو ما ورد في السنة أصبح له دلالة لغوية وهي الأصل في الوضع ودلالة اصطلاحية تعطيه معنى آخر غير المعنى الأول مع وجود الصلة بين المعنيين: (المعنى اللغوي والاصطلاحي).

يطلق لفظ (المصطلح) في أوساط الناس ليراد به المعنى الذي تعارفوا عليه واتفقوا في استعماله اللغوي الخاص أو في أعرافهم الاجتماعية، وعاداتهم السائدة، وتساعد الظروف الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والدينية على أن تحمل كلمة ما معنىً غير الذي وضعت له في أصل اللغة التي تنتمي إليها ويسير هذا المعنى الجديد بين الناس حتى يصبح في استعمالهم اليومي شيئاً مألوفاً ينسي معه ذلك المعنى اللغوي الأساسي أو يكاد. وهذا المعنى الجديد هو ما نقصده عندما نقول (المعنى الاصطلاحي) أما ذلك المعنى الأساسي فهو المقصود بقولنا في أثناء هذا البحث (المعنى اللغوي) ونضرب مثلاً لذلك كلمتي الأدب والنقد مثلاً:

فكلمة الأدب لغة الطعام ومشتقاته تحمل هذا المعنى أيضاً أو ما يتعلق به، فالآدب تعني في الاستعمال اللغوي صانع الطعام، والأديب هو الذي يكثر من صنع الطعام للناس والأضياف، والمأدبة هي اجتماع الناس حول الطعام وهكذا، يقول طرفة بن العبد مفتخراً بقومه:

نحن في المشتاة ندعو الجفلى لا ترى الآدب فينا ينتقر[1]

(١) ديوان طرفة، تحقيق الدكتور علي الجندي، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٦٢: ٧٣.

فهو يفتخر بأن الآدب في قومه، يدعو كل الناس، ولا يستثني أحداً منهم، ويكون ذلك في الشتاء، حيث تقل أقوات الناس، وخاصة الذين يعتمدون على الرعاية وتربية المواشي، في الصحارى، وهذا المعنى مشهور في الشعر الجاهلي، وقد تطور هذا اللفظ حتى صار يقصد به الرجل الكريم لكثرة ما يقيم الآدب أو الأديب من موائد للناس. والرجل الكريم لابد أن يكون كلامه كريماً وجميلاً، وأن تكون معاملته للناس فاضلة ولعله من هنا صار يطلق على كلام الكريم أدباً، لأنه كلام سامٍ جميل يصدر عن إنسان كريم، وبهذا كان يفسر قوله ﷺ: «أدبني ربي فأحسن تأديبي»[١]. أي علمني كريم الأخلاق وزينني بجميل الصفات. ثم تطورت الكلمة حتى صارت مصطلحاً على كل كلام جميل، جاء في المعاجم:

١ - «الأدب ملكة تعصم من قامت به عما يشينه»[٢].

٢- الأدب «هو تعلم رياضة النفس ومحاسن الأخلاق»[٣].

٣- أبو زيد الأنصاري قال: «الأدب يقع على كل رياضة محمودة يتخرج بها الإنسان في فضيلة من الفضائل»[٤].

وأخذت هذه الكلمة منحى آخر في المعنى فعند إطلاقها فهي تعني إضافته إلى التعبير الجميل.

ومثل ذلك يقال في كلمة (نقد) في الوضع اللغوي عند العرب تعني النقود والنظر فيها لتمييز الجيد عن الزائف، قال الشاعر[٥]:

تغني يداها الحصى في كل هاجرة ... ففي الدراهيم تنقاد الصياريف

---

(١) كشف الخفاء ومزيل الإلباس، الشيخ إسماعيل بن محمد العجلوني،مؤسسة الرسالة: ١/ ٧٢. الحديث رواه العسكري عن علي ﷺ بسند ضعيف لكن معناه صحيح.

(٢) تاج العروس في جواهر القاموس، محمد مرتضى الزبيدي، مادة أدب.

(٣) المصباح المنير، مادة أدب.

(٤) تاج العروس في جواهر القاموس، مادة أدب.

(٥) أسس النقد عند العرب، د. أحمد أحمد بدوي، مكتبة النهضة، مصر، ط ٢، ١٩٦٠: ١.

واتَّسع مفهوم هذه الكلمة فلم يعد مختصاً بنقد الدراهيم، بل صار يشمل نقد كل شيء حتى نقد الناس والإشارة إلى صفاتهم السيئة، وعلى هذا المعنى ورد قول أبي الدرداء ﷺ: «إذا نقدت الناس نقدوك وإذا تركتهم تركوك»[١].

واستمرت هذه الكلمة تعني التمييز بين الجيد والرديء من الأشياء، وتتجه نحو التخصيص للتمييز بين الجيد والمعيب من كلام الناس، حتى صارت مصطلحاً، وقد انتشر استعمال النقد بمعنى الإشارة إلى عيوب الناس والإعلان عن محاسنه أيضاً في القرن الثالث الهجري، وأخذ الناس يقولون: نقد الكلام، وهو من نَقَدت الشِعر، ونقاده وانتقد الشعر على قائله[٢].

وهذه التقدمة إنما تعني كيف أن الكلمة في المعنى اللغوي تأخذ منحى الاصطلاح بعد تطورها، ومن هنا علمنا بأن هناك ألفاظاً أخذت معناً اصطلاحياً لتطور الدلالات في اللغة العربية.

المعنى الشرعي

وهذا المصطلح الذي نعني به في هذا المقام، تحدث عنه الباحثون المسلمون، فالمصطلح شرعاً، أو ما يقال عند بعض العلماء المعنى اصطلاحاً، كله يعني المصطلح، فقد لاحظ المفسرون وعلماء اللغة ورود كلمات في القرآن الكريم على معانٍ غير المعاني التي وردت عند العرب، وفي استعمالهم قبل نزول القرآن، فأرادوا التمييز بين ما وصفه العرب وهو أصل اللغة، وما جاء به الإسلام، فقالوا: هذا اسم لغوي وهذا اسم شرعي.

وقد تنبه ابن فارس رحمه الله في كتابه (الصاحبي) لهذا فقال:

«كانت العرب في جاهليتها على إرث من إرث آبائهم في لغاتهم وآدابهم ونسائهم وقرابينهم، فلما جاء الله جل ثناؤه بالإسلام حالت أحوال ونسخت ديانات وأبطلت

(١) المرجع السابق: ٢.

(٢) المرجع السابق: ٢.

أمور، ونقلت من اللغة ألفاظ من مواضع إلى مواضع أُخر، فبزيادات زيدت، وشرائع شرعت، وشرائط شرطت، فعفى الآخر الأول، وشغل القوم بعد المغاورات والتجارات وتطلب الأرباح والكدح للمعاش في رحلة الشتاء والصيف، وبعد الإغرام بالصيد والمعاقرة والمياسرة بتلاوة الكتاب العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد، وبالتفقه في دين الله ﷻ وحفظ سنن رسول الله ﷺ مع اجتهاداتهم في مجاهدة أعداء الإسلام»[١].

وبعد أن يقرر أحمد بن فارس أن ألفاظاً نقلت من مواضع إلى مواضع أخر بدأ يمثل في كتابه لمثل هذه الألفاظ، فقال: «فكان مما جاء في الإسلام ذكر المؤمن والمسلم والكافر والمنافق ...»[٢]، ويمضي متحدثاً عن الفسق وعن الصلاة والسجود والصيام إلى أن يقول: «وكذلك الحج لم يكن عندهم فيه غير القصد وسبر الجراح من ذلك قولهم:

وأشهد من عوف حلولاً كثيرة   يحجون سبّ الزبرقان المزعفرا[٣]

ثم زادت الشريعة ما زادته من شرائط الحج وشعائره، وكذلك الزكاة لم تكن العرب تعرفها إلاّ من ناحية النماء، وزاد الشرع ما زاده فيها مما لا وجه لإطالة الباب بذكر وعلى هذا سائر ما تركنا ذكره من العمرة والجهاد وسائر أبواب الفقه، فالوجه إذا سئل الإنسان عنه أن يقول في الصلاة اسمان: (لغوي، وشرعي). ويذكر ما كانت العرب تعرفه ثم جاء الإسلام به، وهو قياس ما تركنا ذكره من سائر العلوم كالنحو، والعروض، والشعر، كل ذلك له اسمان: (لغوي، صناعي)»[٤].

وهكذا يبدو من هذا النص أن الذي أردته بالمصطلح الإسلامي هو ما أراده الباحثون الأولون بالمعنى الشرعي أو الاصطلاح شرعاً، أو اصطلاحاً كما يذكر العلماء في مؤلفاتهم. ومن هذا يظهر بأن الباحثين القدماء أدركوا أن هناك مصطلحات كثيرة في علوم القرآن والسنة وقد ذكروها بعنوان الاسم الصناعي.

---

(١) الصاحبي، أحمد بن فارس، المكتبة السلفية، ١٩١٠: ٤٤-٤٥.

(٢) الصاحبي، المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق.

(٤) المصدر السابق: ٤٧.

وقد تحدث أبو هلال العسكري عن هذا الموضوع: قال:

«وقد حدثت في الإسلام معانٍ وسميت بأسماءٍ كانت في الجاهلية لمعانٍ أخر، فأول ذلك القرآن والسورة والآية والتيمم، والفسق هو الخروج من طاعة الله تعالى، وإنما كان ذلك في الرطبة إذا خرجت من قشرتها، والفأرة إذا خرجت من جحرها، وسمي الإيمان مع إسرار الكفر نفاقاً، والسجود لله إيماناً وللوثن كفراً، ولم يعرف أهل الجاهلية من ذلك شيئاً»(١).

وورد في المزهر: «إن لفظ الجاهلية اسم حدث في الإسلام للزمن الذي كان قبل البعثة والمنافق اسم إسلامي لم يُعرف في الجاهلية»(٢).

ويبدو أن مصطلح (الاسم الشرعي) و(الاسم الإسلامي) لم يقتصر في أذهان الناس على الاسم الذي خصصه القرآن لمعنى ما، بل تعداه إلى كل معنى يتصل إلى الإسلام بسبب، ولذلك أطلق (الاسم الشرعي) على الأسماء التي تحمل مدلولات إسلامية، ويدل على ذلك قول أبي العلاء «وأبو الهندي إسلامي، واسمه عبد المؤمن بن عبد القدوس، وهذان اسمان شرعيان، وما استشهد بهذا البيت إلاّ وقائله عند المستشهد فصيح»(٣).

يتبين مما سبق أن المسلمين أدركوا أن هناك معانٍ إسلامية قد كونها القرآن الكريم، وأن بعض الكلمات قد تحول معناها إلى معانٍ أخرى، وأن هذه المعاني الجديدة إنما عرفت من القرآن الكريم.

ومن خلال ذلك بدأت الاهتمامات بدراسة الدلالات القرآنية تمهيداً للبحث في أصول التشريع الإسلامي كالقرآن، والسنة والاجتهاد والقياس، وكان الحديث عن الأسماء اللغوية والشرعية فيها ممهداً لتفصيل القول في الأحكام كطرق الاستنباط وتفصيل الأحكام.

---

(١) الأوائل، أبو هلال العسكري، نشر أسعد الحسيني، مطبعة دار أمل طنجة، المغرب الأقصى، ١٩٦٦: ٣٥-٣٦.

(٢) المزهر في علوم اللغة وآدابها، للإمام السيوطي، تحقيق محمد أحمد جاد المولى، البابي الحلبي، القاهرة، ج ١: ٣٠١.

(٣) رسالة الغفران، أبو العلاء المعري، الشركة اللبنانية للكتاب: ٦١.

وقد أفرد قسمٌ ممن اشتغل بعلم أصول الفقه باباً تحت عنوان (القواعد اللغوية إلى معاني الألفاظ لغة وشرعاً). فقد قال علي حسب الله: إن الأسماء اللغوية تنقسم إلى قسمين: (وضعية وعرفية). ومضى يعرف كلاً من القسمين حتى وصل إلى الأسماء الشرعية التي قال فيها: «وقد وجدنا الشارع يستعمل ألفاظاً عربية في معانٍ لم يعرفها العرب من قبل، فهل وضعها الشارع لهذه المعاني وضعاً مبتدأً لا علاقة له بمعانيها الأولى، كما يضع المحترفون الأسماء لأدواتهم؟ أم هي لا تزال مستعملة في معانيها الأولى من غير نقل؟ أم نقلها بطريقة التجوز إلى معانٍ تتصل بمعانيها الأولى وذاعت المعاني الجديدة حتى أصبحت حقائق شرعية عرفية فيها؟»[1].

الجواب على ذلك:

١- ذهب الخوارج والمعتزلة وطائفة من الفقهاء إلى أن الشارع يجرد الألفاظ من معانيها اللغوية، ويضعها وضعاً مبتدأً للمعاني الشرعية أو الدينية[2]، ثم عرض أدلة الفريق ومضى إلى بيان الآراء الأخرى.

٢- وذهب أبو بكر الباقلاني إلى أن الشارع يستعمل الألفاظ العربية في معانيها اللغوية ولا يتصرف فيها إلاّ بوضع شروط وقيود يتحقق بها المقصود الشرعي. ثم ذكر أدلة هذا الرأي.

٣- وذهب الغزالي والرازي وجماعة إلى التوسط، فأنكروا أن تكون الألفاظ الشرعية منقولة نقلاً كلياً عن معانيها اللغوية على نحو ما ذهب إليه الخوارج والمعتزلة، وأن تكون باقية عليها من غير تصرف فيها إلاّ بوضع الشروط والقيود على نحو ما ذهب إليه أبو بكر الباقلاني[3]. وقالوا إن الشارع تصرف في الألفاظ العربية كما تصرف العرف فيها. فخصص بعض الأسماء ببعض مسمياتها كألفاظ الإيمان والحج والصوم ونحوها وأطلق بعض الألفاظ على ما له صلة بمعناها، كما أطلق لفظ محرمة على الخمر، والمحرم شربها»[4].

---

(١) أصول التشريع الإسلامي، الشيخ حسب الله، دار المعارف، القاهرة، ط ٥، ١٩٧٦: ٢٤٣.

(٢) المصدر السابق: ٢٤٤.

(٣) أبو بكر الباقلاني: محمد بن الطيب أحد الأئمة الأشاعرة (ت ٤٠٢هـ). ينظر: الأعلام: ٢/ ٧.

(٤) أصول التشريع الإسلامي: ٢٤٦.

وعلى هذا رأينا أن المصطلح فيه صعوبة التحديد فقد قال التهانوي في مقدمة كتابه: «إن أكثر ما يحتاج به في تحصيل العلوم المدونة والفنون المروّجة إلى الأساتذة هو اشتباه الاصطلاح، فإن لكل علم اصطلاحاً خاصاً به إذا لم يُعلم بذلك لا يتيسر للشارع فيه الاهتداء إليه سبيلاً وإلى إفهامه دليلاً»[1].

ولابد من استشارة كتب الفقه وأسفار التفسير، وأهل الرأي، والنظر في محاولة تقسيم المصطلحات إلى وحدات مستقلة يجمع بين عناصر كل واحدة منها مفهوم ديني واحد.

١- مصطلحات العقيدة: ويتضمن مصطلحات (الله) الأسماء الحسنى الرب الدين والشريعة والرسول والنبي والقضاء والقدر والإسراء والمعراج والحلال والحرام والأصنام والأوثان والعبادة.

٢- نماذج البشر في القرآن: وهو يتضمن المصطلحات التي تتعلق بدرجات الإيمان ودركات الكفر مثل المصطلحات: مسلم ومؤمن ومحسن في جهة، ومصطلحات الذي في قلبه مرض والمنافق والفاسق وهكذا صعوداً في درجات الكفر حتى نصل الملحد في الجهة المقابلة، وهذه ملحقة في مصطلحات العقيدة.

٣- أركان الإسلام: ويتضمن مصطلحات الشهادة والصلاة والزكاة والصوم والحج وما يتعلق بكل واحدة منها من المصطلحات.

٤- الجهاد والسلوك والطبائع: مثل مصطلحات الجهاد وما يتعلق به كالنصر والفتح والمخلفين والقاعدين، ثم مصطلحات المعروف والمنكر، والتقوى والفجور، والهدى والضلال، والإثم والذنب والفاحشة والرشد والغي والنجوى والنسيء والزور وما إلى ذلك.

٥- مصطلحات الجزاء وصفات النار: وفيه مصطلحات القسط والعدل والميزان والجزاء والأجر والثواب والفلاح والفوز والعذاب والعقاب والحد والتعزير، ومصطلحات الجنة وصفاتها، والنار وصفاتها، وطعام أهل النار وما إلى ذلك.

---

(١) كشاف اصطلاحات الفنون، محمد علي الفاروقي التهانوي (ت ١٢٠٠هـ)، تحقيق د. لطفي عبد البديع، المؤسسة المصرية العامة، ١٩٦٣: ١.

٦- صفات أهل الدنيا والآخرة: مصطلحات تتعلق بالإنسان وحياته ومماته وبعثه وحسابه، وهناك مصطلحات البرزخ والصور والناقور والساعة والبعث والنشر والحشر والقيامة والحاقة والصافة والقارعة وغيرها.

٧- مصطلحات عالم الغيب: الغيب والوحي والأمر والعرش والكرسي والقلم واللوح المحفوظ والصراط المستقيم والجن وإبليس والشيطان والعفريت والملائكة[١].

كل ذلك وغيره يشكل المصطلح في الفكر الإسلامي. وهذه المصطلحات خاصة بالقرآن. وأما ما يخص أصول الفقه والفقه، فإن هناك مصطلحات كثيرة لا حصر لها، تتبعها علماء هذا الشأن، وكذلك علم الكلام والحديث والعلوم الأخرى، أما الكتب التي تعرضت للدلالة القرآنية فهي:

١ - كتاب الأشباه والنظائر في القرآن الكريم، لمقاتل بن سليمان البلخي المتوفى سنة (١٥٠هـ) وقد قام الدكتور عبد الله محمود شحاتة بدراسة هذا الكتاب وتحقيقه، وقد أصدرته الهيئة المصرية العامة للكتاب عام ١٩٧٥، وفي هذه الدراسة يقرر الدكتور عبد الله شحاتة أن هذا الكتاب هو أول ما كتب في موضوعه[٢]، ويقصد بالأشباه: الألفاظ المشتركة، أو ما يسمى بالمشترك اللفظي، كلفظ العين يطلق على العين المبصرة والعين الجارية. ويقصد بالنظائر: الألفاظ المتواطئة التي تستعمل بمعنى واحد مثل جواد وكريم[٣]، وهذا قريب من معنى الترادف في الدراسات اللغوية الحديثة. وقد درج فيه المؤلف على ذكر الكلمة الواحدة من القرآن ثم ذكر الوجوه التي استعملت بها في القرآن الكريم.

---

(١) التطور الدلالي بين لغة الشعر والقرآن الكريم، عودة خليل أبو عودة، مكتبة المنار، الأردن، ط ١، ١٩٨٥: ٣١-٣٢.

(٢) ينظر: الأشباه والنظائر في القرآن الكريم، مقاتل بن سليمان البلخي، تحقيق الدكتور عبد الله محمود شحاتة، الهيئة المصرية للكتاب، ١٩٧٥: ٢٨-٢٩.

(٣) المرجع السابق.

٢- كتاب الزينة في المصطلحات الإسلامية العربية، لمؤلفه أبي حاتم الرازي المتوفى سنة (٣٢٢هـ)، وكما يظهر من عنوان الكتاب فإن مؤلفه قد أدرك تماماً أن هناك كلمات إسلامية وكلمات عربية، وأن الكلمات الإسلامية إن هي إلاّ الدلالات الجديدة التي أعطاها القرآن الكريم للكلمات العربية، وفي أثناء هذا الكتاب يجد الدارس الكلمة من القرآن وقد بين المؤلف معناها كما فهمه من النص القرآني ثم يتعرض لمعناها اللغوي كما ترد في المعاجم ثم يورد ما قد يسند رأيه من أشعار العرب.

وقد اشتمل هذا الكتاب على أربعمائة كلمة من كلمات القرآن الكريم، ثم أنه لم يقتصر المؤلف فيه على المصطلحات الواردة في القرآن بل تعداها إلى المصطلحات الواردة في الحديث النبوي الشريف، ثم المصطلحات الواردة في الأنكحة والمصطلحات التي ترد على ألسنة الفقهاء والعلماء والمؤلفين[١]. وهذه في الحقيقة ميزة له. ويشمل ما ذكر في هذا الكتاب مئات المصطلحات. وكان المؤلف يتناول المشهور والمتداول ولذلك لم يستوعب كل المصطلحات الإسلامية لكنه يعتبر من المراجع المهمة في دراسة المصطلحات، وهو من الكتب المهتمة بهذه الدراسات.

وقد تحدث الدكتور مازن مبارك في كتابه (نحو وعي لغوي) في فصل تطور (الألفاظ الإسلامية) عن كتاب أبي حاتم الرازي، فذكر في حديثه: «لقد كانت لبعض علمائنا المتقدمين محاولات ناجحة وآراء سديدة في الكثير من قضايا اللغة، ولعل من أبرز هذه المحاولات الناجحة في دراسة تطور دلالة الألفاظ تلك المحاولة العلمية التي قام بها أبو حاتم أحمد بن حمدان الرازي المتوفى سنة (٣٢٢هـ) والتي سجلها في كتابه المسمى «الزينة في المصطلحات الإسلامية العربية»، إن كتاب الزينة في حقيقته كتاب في تطور دلالة الألفاظ بيّن واضعه فيه معاني عددٍ من الألفاظ التي اختارها من القرآن الكريم والحديث النبوي وكلام الفقهاء، ذاكراً ما كان لبعضها من معانٍ قبل الإسلام،

---

(١) ينظر: الزينة في المصطلحات الإسلامية العربية، أبو حاتم الرازي، دار الكتاب العربي بمصر، ط ٢ن ١٩٥٧، ج ١: ٥.

وما طرأ على دلالتها من تبدل بظهور الإسلام. لقد أراد الرازي من وراء محاولته اللغوية خدمة دينه نظراً لما بين العربية والإسلام من صلة وثيقة، على أن الرازي لم يقتصر في كتابه على المصطلحات الإسلامية العربية، وإنما تحدث في كتابه عن اللغة العربية وفضلها، كما تحدث عما اتسعت له من نحو وشعر وعروض ... حتى وصل إلى موضوعه فافتتحه بذكر أسماء الله ﷻ وصفاته، ثم شرح بعد ذلك أسماء كثيرة تذكر في الشريعة، وذكر معانيها واشتقاقها»[١].

٣- وممن ألفوا في هذا الباب الكاتب الخوارزمي (٣٧٨هـ) في كتابه (مفاتيح العلوم) حيث جمع فيه ما بين كل طبقة من العلماء من المواصفات والاصطلاحات رتبها على أبواب العلوم.

٤- كتاب التعريفات، تأليف السيد الشريف الجرجاني الحنفي، (٧٤٠-٨١٦هـ) وهي دراسة في المصطلحات في العلوم[٢].

٥- الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أبي البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي (ت ١٠٩٤هـ)[٣].

٦- القاضي عبد النبي بن عبد الرسول الأصمد نكيري الهندي وهو معاصر لصاحب الكشاف في (جامع العلوم) الملقب بـ(دستور العلماء) وقد أتمه تأليفاً ١١٧٣هـ[٤].

٧- كتاب كشاف اصطلاحات الفنون تأليف محمد علي الفاروقي التهانوي، لقد حقق هذا الكتاب الدكتور لطفي عبد البديع وراجعه الأستاذ أمين الخولي وهذا الكتاب يعتبر من المراجع المهمة في دراسة المصطلحات.

---

(١) نحو وعي لغوي، الدكتور مازن المبارك، مكتبة الفارابي، دمشق، ١٩٧٠: ١١١ وما بعدها.

(٢) التعريفات، السيد الشريف الجرجاني (ت ٨١٦هـ)، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ١٩٣٨.

(٣) الكليات، أبي البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي، تحقيق عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، ط ٢، ١٩٩٨.

(٤) دراسة للمحقق في بداية كتاب الكشاف: ١/ ١.

وهكذا لاحظنا من خلال هذه الدراسة كيف أن المصطلح الإسلامي أو المصطلح في الفكر الإسلامي قد أخذ بحظ وافر وذلك لظهوره في بداية نزول الوحي حيث أخذت الألفاظ التي تعنى بالإسلام طابعاً اصطلاحياً لم تكن عليه في وضع أصلها اللغوي.

وكما رأينا أن الاصطلاحات تخص كل العلوم الإسلامية من علوم القرآن وعلم الكلام والفقه وأصوله والحديث وأصوله وغيرها من العلوم، فظهور المصطلح أمرٌ ضروريٌ لفهم قواعد الإسلام وأصوله وكذلك فروعه وتعاليمه.

فمصطلح أهل السنة والجماعة جاء وليدة ما استجد من ظهور الفرق المبتدعة وغيرها فكان لابد منه للتمييز بين أهل الحق وغيرهم.

المبحث الثالث

نشوء مصطلح أهل السنة والجماعة في الفكر الإسلامي

كان العالم يوم بعث النبي الكريم ﷺ بالهدى ودين الحق يتيه في بيداوات من ظلم الجهل، والتقليد للآباء والأجداد، وانتكاس أسس الاجتماع. فالعرب وهم قومه وعشيرته الأدنون، أمة غارقة بالشرك وعبادة الأوثان، فيهم من العادات الغير محمودة، كالقتال فيما بينهم، والعصبية المقيتة التي كانت تأسرهم، والتكسب من طريق النهب، وشن الحروب، والاعتداء على الحقوق والحرمات، ووأد البنات، وما أشبه ذلك من دنيء الخصال، وليس لهم من المعرفة الربانية ما يحول بينهم وما يعملون. فهم يأتون السحرة والكهنة والعرافين يلتمسون عندهم المعرفة وأخبار الغيب. في وسط هذا الخضم من الاضطرابات الاجتماعية والدينية، بعث الله نبيه الأكرم ﷺ، بالهدى ودين الحق، فأقام الحجة وأيقظ العقل، وأذاع في الناس سلطان هذا العقل، وحاكمهم إليه، ودعاهم إلى نبذ تقليد الآباء والأجداد في التدين والعبادة والاجتماعية والعادة، فجاءهم بالقرآن الذي حدثهم بالرجوع إلى العقل فنلحظ في قوله تعالى وهو يخاطب أهل الكتاب، ويعلم الأمة كيف تنافح وتناقش وتجادل في الحق لتظهره على الدين كله:

﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوْرَىٰةُ وَٱلْإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٥﴾ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾ إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِىُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[1].

---

(١) سورة آل عمران/ ٦٤-٦٨.

فإذا قرأت الآية تأمل في يسرها وسهولة مدخلها إلى العقل، وأنها لا تحتاج إلى أن تستأذن لتلج أدق الموالج، وتؤثر أبعد الأثر، واستعملت الآية الكريمة كلمة الحجة والبرهان، وتلاحظ فيها التسلسل المنطقي الذي ينشده أهل البحث.

ولم يلبث العرب، حين أقيمت عليهم الحجة، وأخذت عليهم سبل الالتواء والمعارضة، أن دانوا لهذه الدعوة، ودخلوا في دين الله أفواجاً، فرأوا النبي ﷺ يصف لهم ربه سبحانه بما وصف به نفسه، في كتابه الكريم، وبما أجراه على لسان نبيه الكريم في سنته فلم يسأله أحد منهم، على اختلاف عقولهم من شيءٍ من ذلك، كما كانوا يسألونه عن الصلاة والصيام والزكاة والحج وغير ذلك مما يخص حياتهم العبادية والعادية وبما يقربهم من الله تعالى، لكننا لا نجدهم يسألون عن ما وصف الله به نفسه لأن هذا من الأمور التي تتوفر الدواعي على نقله لو أنه حدث، ولم ينقل عن أحدٍ التبس عليه فهم شيءٍ من ذلك فأنشأ يسأل ليكشف شبهة أو يزيل لبساً، أو يشرح غامضاً، كما نقلت الأحاديث الكثيرة التي تتضمن السؤال عن الحلال والحرام وعن أحوال القيامة وعن الفتن والملاحم وغير ذلك، فدل ذلك كله على أنهم فهموا ذلك وعقلوه في يسر وهوادة من غير فلسفة ذلك، وسكتوا عن الكلام في الصفات، ولم يفرّق واحد منهم بين كونها صفات ذات أو صفات فعل، وإنما أثبتوا له صفات أزلية من العلم والقدرة والحياة والكلام والسمع والبصر والجلال والإكرام والجود والإنعام والعز والعظمة وساقوا الكلام سوقاً واحداً، وهكذا أثبتوا ﷺ ما أطلقه الله سبحانه على نفسه الكريمة من الوجه واليد ونحو ذلك، مع نفي مماثلة المخلوقين فأثبتوا ﷺ بلا تشبيه، ونزّهوا من غير تعطيل، لم يتعرض -مع ذلك- أحد منهم إلى شيء من هذا ورأوا بأجمعهم إجراء الصفات كما وردت ولم يكن عند أحدٍ منهم ما يستدل به على وحدانية الله تعالى وعلى إثبات نبوة محمد ﷺ سوى كتاب الله تعالى ولا عرف أحد منهم الطرق الكلامية ولا مسائل الفلسفة[1].

(١) الخطط والآثار، للمقريزي، مطبعة بولاق: ١/ ٣٥٦.؛ مقالات الإسلاميين، لشيخ أهل السنة والجماعة أبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري، تحقيق محيي الدين عبد الحميد، مكتبة النهضة المصرية، ط ٢: ١/ ٣٤ وما بعدها.

على هذا، وفي هذا الموضوع الذي ثارت فيه عجاجة الكلام فيما بعد، انتهى القرن الأول لأن أصحاب رسول الله ﷺ ومن تبعهم بإحسان، فهموا ما ذكره الرسول ﷺ عن ربه ولم يروا بأنفسهم حاجة إلى الفلسفة والقواعد الفلسفية ولا إلى مباحث علم الكلام. فالكتاب حدثهم عن ربهم بلسان عربي مبين، لم يحتاجوا معه إلى زيادة فهم أو معرفة فهم عرب، فهموا ما خاطبهم به القرآن، والنبي أفصح من نطق بالضاد، ولذا فهموا مراده مما يقول.

ونبت في القرن الأول رجلان شغلا الناس بما لم يكونوا يعرفون عن نبيهم وعن صحابته الأخيار رضوان الله عليهم أجمعين، فشغلا بعض الصحابة، وشغلا كثيراً من التابعين، وشغلا بعض الأقطار التي ارتفعت فيها راية الإسلام وشغلا بعض أهل المدينة حاضرة بلاد الإسلام[1].

وكلا الرجلين دخيلان على في الإسلام. أما أحدهما فرجل نصراني من أهل العراق يقال له (سوسن)، ويقال له (سنسويه) أو (سويس)، أظهر الإسلام وصحب معبد الجهني البصري ونفث في صدره سمومه وعلمه القول بالقدر، فكان معبد أول من قال بالقدر في الملة المحمدية، وقدم المدينة فأفسد بها أناساً، فاشتغل أهل زمانه بتحذير الناس منه، فروى أن ابن عمر ﷺ حين بلغه شأنه أعلن البراءة منه ، وروي أن الحسن كان يقول: «إياكم ومعبداً فإنه ضالٌ مضل»، وروي أن مسلم بن يسار[2] كان يجلس إلى سارية في المسجد يقول: إن معبداً يقول بقول النصارى ومازال كذلك حتى أخذه عبد الملك بن مروان سنة ثمانين فقتله وصلبه بدمشق[3].

وأخذ عن معبد غيلان بن مروان (أو ابن مسلم) الدمشقي فقال بالقدر خيره وشره أنه من العبد وقال في الإمامة أنها تصلح في غير قريش وأن كل من كان قائماً

(١) مقدمة مقالات الإسلاميين، محيي الدين عبد الحميد: ١٠.

(٢) مسلم بن يسار الأموي بالولاء أبو عبد الله الفقيه من رجال الحديث سكن البصرة وكان فقيهاً (ت ١٠٨هـ-٧٢٦م). ينظر: الأعلام: ٨/ ١٢١.

(٣) ينظر: الكامل في التاريخ، ابن الأثير الجزري: ٤/ ١٨٩؛ النجوم الزاهرة، ابن تغري بردي: ١/ ٢٠١.

بالكتاب والسنة كان مستحقاً لها، وأنها لا تثبت إلاّ بإجماع الأمة، وكانت نهاية أمره أن أخذه هشام بن عبد الملك بن مروان فأمر بقطع يديه ورجليه(١).

وأما الآخر فرجل يهودي احترقت أحشاؤه من نصر الله تعالى المؤمنين فاصطنع الإسلام وهو يضمر أن يكيد له، وذلك هو عبد الله بن وهب بن سبأ المعروف بابن السوداء، وتتلخص شروره في أنه أحدث أموراً ثلاثة كان لكل واحد منها الأثر البالغ في تفريق كلمتها وتشعب أمرها:

الأمر الأول: كان هو أول من أحدث القول بوصية رسول الله ﷺ لعلي بن أبي طالب ﷺ بالإمامة فعلي وصي الرسول ﷺ وخليفته على أمته من بعده بالنص.

الأمر الثاني: كان أول من أحدث القول بالرجعة، أي رجعة علي ﷺ إلى الدنيا بعد موته، وبرجعة رسول الله ﷺ أيضاً.

الأمر الثالث: كان هو أول من أحدث القول بأن علياً ﷺ لم يقتل وأنه لا يزال حياً، وأنه يسكن السحاب وأن الرعد صوته، وأن البرق سوطه، وأن فيه جزءاً إلهياً، وأنه لابد أن ينزل إلى الأرض فيملأها عدلاً كما ملئت جوراً. وأكثر هذه القضايا مأخوذة عن اليهودية التي تعارفها قومه يومئذ، بل إنه يستدل لمن يخدعهم على صحة هذه القضايا ببعض ما عرف من أحوال موسى ﷺ مع شيء من التحريف والتمويه(٢).

وقد أحرقهم علي ﷺ ونفى عبد الله بن سبأ إلى ساباط المدائن، فلما قتل سيدنا علي قال: إن علياً لم يقتل، ولم يمت، وإنما ذلك الذي قتل شيطان تصور بصورته، وتوهمت الناس أنه قتل كما توهم اليهود والنصارى أن المسيح قتل(٣).

ومن هذه الآراء الفاسدة التي نفث سمومها عبد الله بن سبأ تفرعت آراء كثيرة من الفرق، فمن تعاليمه تشعبت أقاويل الغلاة من الرافضة.

---

(١) التبصير في الدين: ٢١.

(٢) الفرق بين الفرق، أبو منصور عبد القاهر بن طاهر البغدادي (ت ٤٢٩هـ) تحقيق محمد زاهد الكوثري، الناشر عزت العطار الحسيني، ١٩٤٨: ١٥٤-١٥٥.

(٣) التبصير بالدين، أبو المظفر الآسفرائيني، تحقيق كمال يوسف الحوت، عالم الكتب، ط ١، ١٩٨٣: ١٢٣.

أفليس كثيراً منهم يذهبون إلى أن الإمامة، موقوفة على قوم بأعيانهم كقول الإمامية: إنها محصورة في الأئمة الاثني عشر، وكقول الإسماعيلية أنها محصورة في ولد إسماعيل بن جعفر الصادق[1]، ثم أليس كثيراً من الإمامية يذهبون إلى القول بفيئة الإمام ورجعته إلى الدنيا بعد الموت؟

أليس منهم من قال أن الجزء الإلهي يحل في الأئمة بعد علي ين أبي طالب ﷺ، وأنهم بهذا استحقوا الإمامة دون غيرهم؟ وعلى هذا الرأي كان – فيما بعد- استعقاد دعاة الخلفاء الفاطميين ببلاد مصر.

وابن سبأ هذا هو الذي أثار فتنة أمير المؤمنين عثمان بن عفان ﷺ ومازال يذكي لهيبها، ويجمع لها أوباش الناس وطِغامهم حتى قتل الخليفة المظلوم، وكان له أتباع كثيرون في معظم الأقطار.

وفي القرن الأول –أيضاً- انفصلت شعبة من شيعة علي ﷺ، وناصبته العداء وجمعت الجموع، وأشعلت شواظ الفتنة ضده، بعدما كانت تفديه بالأنفس والأموال، وبعدما كانت ترى طاعته مغنماً، وهذه فئة الخوارج الذين شايعوا علياً ﷺ أول الأمر في قتال معاوية بن أبي سفيان ﷺ وأهل الشام، حتى إذا كان النصر قاب قوسين أو أدنى أظهروا الانخداع بخديعة عمرو بن العاص وحملوا علياً على قبول التحكيم، على أن ينيب عنه أبا موسى الأشعري، ولم يقبلوا التريث حتى تتم الغلبة على أهل الشام، كما لم يقبلوا أن يختار علي ﷺ نائبه كما اختار معاوية نائبه، فلما أذعن لهم وقبل كل ما طلبوه منه، راحوا يعلنون كفر علي ﷺ وكفر كل من قبل بالتحكيم، ولم تنجح معهم حجج المحتجين ولا نصيحة الناصحين، وأبوا أن يفيئوا إلاّ أن يُعلن علي أنه كفر بتحكيمه الرجال وأنه تاب إلى الله تعالى من هذا الكفر.

وما كان علي ﷺ ليعلن ذلك ويرضى بإعلانه، وهو ما حكم إلاّ ليفع ثورة كانت توشك أن تلتهم الأخضر واليابس، وهو يعتقد –فوق ذلك- أنه لو حكم مختاراً طائعاً لما كان في ذلك كفر ولا شبهة كفر، بل ولا معصية، ولا شبهة معصية.

---

(١) إسماعيل بن جعفر الصادق بن محمد الباقر الهاشمي القرشي جد الخلفاء الفاطميين وإليه نسبت الإسماعيلية من فرق الشيعة الباطنية (ت ١٤٣هـ-٧٦٠م). ينظر: الأعلام: ١/ ٣٠٦.

وإن يكن من شيء فإنه قد نبتت نابتة الخوارج في أواخر حروب صفين، بين أهل العراق وبين أهل الشام، واستشرى شرهم، وصاروا من بعد ضرباً كثير العدد وخلطوا شؤون الدين بشؤون الدولة، فكانت لهم آراء في مسائل الدين (أصوله وفروعه) وكانت لهم آراء في الخروج على الدولة.

وقال الإمام أبو الحسن الأشعري: اجتمعت الخوارج على إكفار علي بن أبي طالب رضوان الله عليه أن حكّم، وهم مختلفون هل كفره شرك أم لا؟ وأجمعوا على أن كل كبيرة كفر إلاّ (النجدات)[١] فإنها لا تقول ذلك، وأجمعوا على أن الله سبحانه يعذب أصحاب الكبائر عذاباً دائماً إلاّ النجدات أصحاب نجدة، وهم فئة من الخوارج[٢].

كما ظهر في أخريات القرن الأول أو أوائل القرن الثاني رجل يقال له (جهم بن صفوان) بترمذ وبلاد المشرق «فأورد على أهل الإسلام شكوكاً أثرت في بلاد الملة الإسلامية آثاراً قبيحة تولد عنها بلاءٌ كبيرٌ، فكثر أتباعه على أقواله التي تؤول إلى التعطيل»[٣]. فأخذ يعلن في الناس أن «المقدورات الله تعالى ومعلوماته غاية ونهاية، وأن لأفعاله آخر، وأن الجنة والنارتفنيان، ويفنى أهلها حتى يكون الله تعالى آخراً لا شيء معه، كما كان أولاً لا شيء معه»[٤]، و«أن الإيمان هو المعرفة بالله فقط، والكفر هو الجهل بالله فقط، وأنه لا فعل لأحد في الحقيقة إلاّ الله وحده وأنه هو فاعل وأن الناس إنما تنسب إليهم أفعالهم على المجاز، كما يقال تحركت الشجرة ودار الفلك، وزالت الشمس»[٥]، ونفى أن يكون لله تعالى صفة، وذهب إلى أن علم الله محدث، وإلى القول بخلق القرآن، وقد أكبر أهل الدين بدعته، وتمالأوا على إنكارها وتضليل أهلها، وحذروا الناس من الجهمية، وعادوهم في الله تعالى، وذموا من جلس إليهم، ومن قال بمقالتهم أو انتحل نحلهم.

---

(١) النجدات: أتباع نجدة بن عامر الحنفي من الخوارج. ينظر: الفرق بين الفرق: ٥٢.

(٢) مقالات الإسلاميين: ١٦٨.

(٣) الخطط والآثار: ٢/ ٣٥٧.

(٤) مقالات الإسلاميين: ١/ ٢٢١.

(٥) المصدر السابق: ١/ ٢١٢.

وقد قتل صاحب هذه النحلة كما ذكر ذلك ابن كثير «في سنة ثمان وعشرين ومائة كان مقتل الحارث بن سريج، وجهم بن صفوان كان كاتب الحارث بن سريج[١] قتله سَلْم بن أحوز بأمر من نصر بن سيار[٢] وقيل أسر الجهم فأوقف بين يدي أسلم بن أحوز فأمر سلم بقتله، فقال جهم: إن لي أماناً من أبيك، فقال: ما كان لو أن يؤمنك، ولو فعل ما أمنتك، ولو ملأت هذه الملاءة كواكب وأنزلت عيسى بن مريم ما نجوت، والله لو كنت في بطني لشققت بطني حتى أقتلك وأمر ابن ميسر فقتله»[٣].

وفي أوائل القرن الثاني كان شرّ الخوارج قد استطار، وكانوا قد أعلنوا أن مرتكب الكبيرة كافر مخلد في النار، لا يخرج منها أبداً. وكان جماعة يقولون أنه مؤمن وإن فسق بارتكاب الكبيرة، وكان أبو حذيفة واصل بن عطاء يجلس إلى الحسن البصري ويتتلمذ عليه، فجرى يوماً ذكرُ هذه المسألة، فقال واصل أنا أقول في مرتكب الكبيرة من هذه الأمة، أنه لا مؤمن ولا كافر، منزلة بين منزلتين، فغضب الحسن لذلك وطرده من مجلسه فاعتزل عنه وجلس في ناحية المسجد وانضم إليه عمرو بن عبيد وجماعة، وقيل لها ولأتباعها المعتزلون أو المعتزلة»[٤].

كان المعتزلة منذ أن نشؤوا أكثر أهل الفرق نشاطاً، وقد عاونهم على هذا النشاط ثلاثة أمور:

١ - أن الله تعالى قيّض لهم في كل طبقة قوماً من أهل البراعة واللّسن، فواصل بن عطاء، من أوسع الناس عقلاً وأغزرهم علماً، وأقدرهم على الجدل والمناظرة، وأسرعهم بديهة في استحضار آيات القرآن، وهو أعلم بكلام غالبية الشيعة ومارقة

---

(١) الحارث بن سريج: التميمي كان من خراسان خرج على أميرها سنة ١١٦هـ (ت ١٢٨هـ-٧٤٦م). ينظر: الأعلام: ٢/ ١٥٥.

(٢) نصر بن سيار بن رافع بن حري بن ربيعة الكناني أمير من الدهاة الشجعان (ت ١٣١هـ). ينظر: الأعلام: ٨/ ٣٤١.

(٣) البداية والنهاية، أبي الفداء إسماعيل بن كثير: ١٠/ ٢٦-٢٧.

(٤) وفيات الأعيان وذكر أنباء أبناء الزمان، ابن خلكان: ٣/ ١٣٠-٢٤٨، ٥/ ٦١.؛ مفتاح ذر السعادة ومصباح السيادة، أحمد بن مصطفى الشهير طاش كبرى زادة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٩٨٥: ٢/ ١٤٤ وما بعدها.

الخوارج، وكلام الزنادقة(١) والدهرية(٢) والمرجئة وسائر المخالفين. وفيهم أبو هـذيل العلاف «نسيج وحده وأوحد دهره في البيان ومعرفة الكلام»، ثم إبراهيم بن سيار(٣) النظام شيخ أبي عثمان الجاحظ(٤) إمام أهل الأدب وأوسعهم اطلاعاً.

٢- اتصالهم بالخلفاء والأمراء واستطاعتهم بما منحوا من خلابة وقوة عارضة أن يؤثروا فيهم، وأن يحزوا عندهم منازل مرموقة، وأن يستعدوهم على خصومهم إن أرادوا، فعمرو بن عبيد حفي أمير المؤمنين أبي جعفر المنصور وصديقه، وأبـو هـذيل العلاف(٥) أستاذ أمير المؤمنين المأمون، وأحمد بن أبي دؤاد(٦) أحد رؤوسهم كان قاضي القضاة للمعتصم.

٣-تعاون هؤلاء الناس على ما هم بسبيله، وصلة بعضهم ببعض الصلة الوثيقة العروة، وعطف بعضهم على بعض حتى ضرب الأدباء المثل بتآلفهم.

وكان أثر ذلك تأثيرهم المباشر على الخلفاء العباسيين فكـانوا يفتلـون للمـأمون الذّروة والغارب حتى أخذ الناس في عهده بـالقول بخلـق القـرآن، وأرسـل بـذلك منشوراً لولاة الأمصار يأمرهم فيه بتنفيذ ذلك حتى لم يبقَ أحد من فقيه ولا محدّث ولا مؤذن ولا وعلم إلاّ أُخذ بالمحنة فهرب كثيرٌ من الناس وملئـت الـسجون ممـن أنكـر عليهم، وأمر ابن أبي الليث بأن يكتب على المساجد لا إله إلاّ الله رب القرآن المخلوق. ومنع الفقهاء من أصحاب مالك والـشافعي مـن الجلـوس في المـساجد، وأمـروا ألا يقربوه».

---

(١) الزنادقة: طائفة لا يجيزون إثبات صفة من صفات الله تعالى ويزعمون أن الله تعالى لا يدرك على ما قال (لا تدركه الأبصار) والذي لا يدرك فالصفة والإخبار عنه محال. ينظر: الفرق المفترقة: ٩٥.

(٢) الدهرية: وهم الذين يقولون بقدم العالم ويجحدون الصانع، الفرق بين الفرق: ١٧٨.

(٣) إبراهيم بن سيار بن هانئ البصري من أئمة المعتزلة (ت ٢٣١هـ). ينظر: الأعلام: ١/ ٣٦.

(٤) الجاحظ: أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ الأديب (ت ٢٥٥هـ-٨٨٩م). ينظر: الأعلام: ٥/ ٧٤.

(٥) أبو هذيل العلاف: محمد بن الهذيل بن عبد الله بن مكحول العبدي مولى عبد القيس أحد أئمة المعتزلة (ت ٢٣٥هـ). ينظر: الأعلام: ٧/ ٢٥٥.

(٦) أحمد بن أبي دؤاد بن جرير بن مالك الأيادي أحد القضاة المشهورين من المعتزلة رأس فتنة خلق القرآن (ت ٢٤٠هـ). ينظر: الأعلام: ١/ ١٢٠.

ومن قبل ذلك كان واصل بن عطاء قد كوّن حوله رجالاً كثيرين وبعث منهم دعاة إلى البلدان يعلنون الاعتزال وينشرون بين الناس. فقد بعث عبد الله بن الحارث إلى بلاد المغرب، وبعث حفص بن سالم إلى خراسان، فجاء ترمذ وناظر جهم بن صفوان حتى قطعه، وبعث القاسم إلى اليمن، وبعث أيوب إلى الجزيرة، وبعث الحسن بن ذكوان[1] إلى الكوفة، وبعث عثمان الطويل[2] إلى أرمينية. وجدّ هؤلاء المبعوثون فيما أرسلوا به، وكان لهم نشاط ملحوظ وزاحموا بالمناكب علماء البلاد والطارئين عليها، ثم كانت المحنة ومنشور المأمون، وقد قويت شوكتهم، وامتد سلطانهم حتى لم يعد غريباً أن تسمع ياقوت الحموي يقول: «إن مجمع الواصلية وأتباع واصل بن عطاء» كان قريباً من تاهرت، وكان عددهم نحو ثلاثين ألفاً في بيوت كبيوت الأعراب يحملونها. وتسمع الصفدي يقول: «ومن وقف على طبقات المعتزلة للقاضي عبد الجبار[3] علم قدر ما كانوا عليه من العَدَد والعُدَد»[4].

وكان المعتزلة أول من استعان بالفلسفة اليونانية واستقوا منها تأييد نزعاتهم فأقوال كثيرة من أقوال النظام[5] وأبي الهذيل والجاحظ وغيرهم بعضها نقل بحت من أقوال الفلاسفة اليونان، وبعضها يستقي من نبعه ويفترق من معينه بشيء من التحوير والتعديل.

وكان الذين عرفوا الفلسفة اليونانية واتصلوا بها وجعلوها تجري في علومهم ومن حوارهم مع خصومهم مجرى الأصل الذي يجب ألاّ يعدَل عنه كان هؤلاء يتهمون المتكلمين وخصوصاً -أهل السنة منهم- بالتعصب واستحسان التقليد واللجاج في

---

(١) (ابن أبي الليث وعبد الله بن الحارث وحفص بن سالم والقاسم وأيوب والحسن بن ذكوان) لم أجد لهم ترجمة رغم ما بذلته من جهد.

(٢) عثمان الطويل: لم أجد له ترجمة رغم بحثي.

(٣) القاضي عبد الجبار بن أحمد بن عبد الجبار الهمداني أبو الحسين قاضٍ أصولي كان شيخ المعتزلة في عصره (ت ٤١٥هـ-١٠٢٥م). ينظر: الأعلام: ٥/ ٧٤.

(٤) معجم البلدان، ياقوت الحموي: تاهرت.

(٥) النظام إبراهيم بن سيار بن هانئ البصري من أئمة المعتزلة (ت ٢٣١هـ-٩٤٥م). ينظر: الأعلام: ١/ ٣٦.

الخصومة، وأنهم قد انفتح عليهم باب الحيرة وأوصدت في وجوههم أبواب اليقين، فلم يكن بدٌ من أن يقيض الله سبحانه وتعالى لهذا الدين رجلاً مأمون السر والعلانية، يعتصم بحبل الله تعالى وسنة رسوله ﷺ وأصحابه الطيبين الطاهرين، وبما كان عليه السلف الصالح من أئمة الحديث، ثم يكون له من العلم بالجدل وأصول المناظرة وما طرأ على أهل هذه الملة من وجوه المعرفة، ما يستطيع أن يدرأ به نحور أهل الباطل ويرد كيدهم عليهم، فكان هذا الرجل هو أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري.

ظهر أبو الحسن الأشعري فأعلن عقيدته في هذه العبارة:

قولنا الذي نقول به، وديانتنا التي ندين بها: التمسك بكتاب الله وسنة نبيه ﷺ، وما روي عن الصحابة والتابعين وأئمة الحديث، ونحن بذلك معتصمون، وبما كان عليه أحمد بن حنبل نضر الله وجهه، ورفع درجته وأجزل مثوبته قائلون، ولمن خالف قولُه قولَه مجانبون، لأنه الإمام الفاضل، والرئيس الكامل الذي أبان الله به الحق عند ظهور الضلال، ثم قال: بعد أن حكى مذهب أهل السنة والحديث تفصيلاً، وذلك قوله «وبكل ما ذكرنا من قولهم نقول، وإليه نذهب، وما توفيقنا إلاّ بالله وهو حسبنا ونعم الوكيل، وبه نستعين وعليه نتوكل وإليه المصير»[1].

والظاهر أن أهل الحديث لم يتقبلوا أبا الحسن الأشعري يوم ظهر بمذهبه هذا الذي حاول به أن يوفق بين مذهب أهل السنة والعقل، بما كان يتوقع، إما لأن نشأته كانت في أحضان المعتزلة، وأما لأنهم يمقتون مذهب المتكلمين، ولا يقبلون أن يلفظوا بعبارة من عباراتهم التي أحدثوها، ولكن قوماً من أهل الحديث جاءوا من بعد قد عرفوا لأبي الحسن الأشعري منزلته، وقد رأوا له جميل مقصده فقالوا فيه بأنه وافق بين صحيح المنقول لصريح المعقول، ولما رجع الإمام عن مذهب الاعتزال سلك طريق ابن كلاب، ومال إلى أهل السنة والحديث، وانتسب إلى الإمام أحمد، كما قد ذكر ذلك في كتبه كلها، كالإبانة والموجز ومقالات الإسلاميين وغيرها.

(١) مقالات الإسلاميين: ١/ ٣٢٥.

وكان مختلطاً بأهل السنة والحديث بمنزلة ابـن عقيـل[١] عنـد متـأخريهم، لكـن الأشعري وأئمة أصحابه أتبع لأصول الإمام أحمد وأمثاله من أئمة السنة من مثل ابن عقيل في كثير من أحواله. وكان القدماء من أصحاب أحمد، كأبي بكر عبـد العزيـز[٢] وأبي الحسن التميمي وأمثالهما يذكرونه في كتبهم على طريق ذكر الموافي للسنة في الجملة.

ومما ألف عن الإمام أبي الحسن الأشعري كتاب (تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري) تصنيف ناصر السنة حجة الحفاظ أبي القاسـم عـلي بـن الحسن بن هبة الله أبي عساكر الدمشقي ذكر فيه محاسن الشيخ إمام أهل السنة والجماعة.

أما ما ذكر من إثبات ظهور مصطلح أهل السنة والجماعة:

١- كتاب الفـرق بيـن الفـرق: أبـو منصور عبد القاهر بـن طاهر البغدادي (ت ٤٢٩هـ) بعد ذكر أنواع الفرق من أهـل الأهـواء والنحـل والبـدع وظهـور البدعـة وأصحابها ومن قال بها إلى أن وصل إلى الفصل الأول من فصول هذا الباب وعنونه في بيان أصناف أهل السنة والجماعة، بأن أصحاب مالك بن أنس والشافعي وغيرهم هم من يمثل أهل السنة والجماعة[٣].

٢- كتاب الملل والنحل للإمام الشهرستاني، جاء فيه: إن السلف مـن أصـحاب الحديث لمّا توغل المعتزلة في علم الله ومخالفة السنة التي عهدوها من الأئمة الراشدين ونصرهم جماعة من بني أمية على قولهم بالقدر وجماعة من خلفـاء بنـي العبـاس عـلى قولهم بنفي الصفات وخلق القرآن تحيروا في تقرير مـذهب أهـل السـنة والجماعـة في متشابهات آيات الكتاب وأخبار النبي ﷺ.

---

(١) ابن عقيل: الإمام العلامة البحر شيخ الحنابلة أبو الوفا علي بن عقيل بن محمد بن عقيل البغدادي الظفري الحنبلي المتكلم (ت ٥١٣هـ). ينظر: سير أعلام النبلاء، أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق محب الدين عمر العمـروي، دار الفكر، ط ١، ١٩٩٧م: ١٤/ ٣٩١.

(٢) أبو بكر عبد العزيز وأبي الحسن التميمي لم أجد لهما ترجمة.

(٣) الفرق بين الفرق: ١٨٩.

فأما الإمام أحمد بن حنبل وداود بن علي الأصفهاني وجماعة من أئمة السلف فجروا على منهاج السلف المتقدمين عليهم من أصحاب الحديث مثل مالك بن أنس وسلكوا طريق السلامة فقالوا نؤمن بما ورد به الكتاب والسنة ولا نتعرض للتأويل بعد أن نعلم قطعاً أن الله ﷻ لا يشبه شيئاً من المخلوقات وأن كل ما تمثل فيه الوهم فإنه خالقه ومقدره وكانوا يحترزون عن التشبيه إلى نهاية أن قالوا من حرك يده عند قراءته خلقت بيدي أو أشار بإصبعه عند روايته قلب المؤمن بين إصبعين من أصابع الرحمن وجب قطع يده وقطع إصبعه إلى آخر ما قرروه في عقيدة السلف.

وذكر «أما السلف الذين لم يتعرضوا للتأويل ولا تهدفوا لتشبيه فمنهم مالك ابن أنس ﷺ إذ قال: الاستواء معلوم والكيفية مجهولة والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة، ومثل أحمد بن حنبل وسفيان وداود الأصفهاني ومن تابعهم حتى انتهى الزمان إلى عبد الله بن سعيد[1] الكُلابي وأبي العباس القلانسي[2] والحارث بن أسد المحاسبي[3]، وهؤلاء كانوا من جملة السلف إلاّ أنهم باشروا علم الكلام وأيدوا عقائد السلف بحجج وبراهين أصولية وصنف بعضهم ودرس بعض، حتى جرى بين أبي الحسن وبين أستاذه مناظرة في مسألة من مسائل الصلاح والأصلح، فتخاصما وانحاز الأشعري إلى هذه الطائفة فأيد مقالتهم بمناهج كلامية وصار ذلك مذهباً لأهل السنة والجماعة[4].

قال الشهرستاني: من عجيب الاتفاقات أن أبا موسى الأشعري كان يقرر عين ما يقرر الأشعري أبو الحسن في مذهبه.

---

(١) عبد الله بن سعيد الكُلابي: ينظر ترجمته في الملل والنحل: ١١٩.

(٢) أبو العباس القلانسي: ينظر ترجمته في الملل والنحل: ١١٩.

(٣) الحارث المحاسبي بن أسد أبو عبد الله من أكابر الصوفية كان إماماً عالماً بالأصول والمعاملات (ت ٢٤٣هـ-٨٥٧م). ينظر: الأعلام: ٢/ ١٥٣.

(٤) الملل والنحل: ١/ ١١٩ و ١/ ١٣٧.

٣- تبيين كذب المفتري فيما نسب للإمام أبي الحسن الأشعري، للحافظ ابن عساكر الدمشقي، استعرض رحمه الله حالة العرب قبل الإسلام وأن الله بصرهم وهداهم برسول الله ﷺ. ثم عرج بعد ذلك إلى ظهور الفرق وأهل الأهواء مبتدأ بوفاة النبي ﷺ من قدرية وجبرية ومرجئة والخوارج والمعتزلة وغيرها من الفرق حتى قال: «ففي مثل هذه الظروف الحرجة غار الإمام أبو الحسن الأشعري ﷺ على ما حلّ بالمسلمين من ضروب النكال وقام لنصرة السنة وقمع البدعة فسعى أولاً للإصلاح بين الفريقين من الأمة بإرجاعها عن تطرفها إلى الوسط العدل قائلاً للأوليين أنتم على الحق إذ كنتم تريدون بخلق القرآن اللفظ والتلاوة والرسم، وللآخرين أنتم مصيبون إذا كان مقصودكم بالقديم الصفة القائمة بذات الباري غير البائنة منه -كما يقول ابن المبارك[1]- يعني الكلام النفسي»[2].

٤- المقدمة للعلامة ابن خلدون: تحت عنوان علم الكلام استعرض فيه جملة الآراء الكلامية التي فيها مخالفة لما عليه السلف الصالح ثم ذكر بعد ذلك ما يأتي:

«وكان ذلك سبباً لانتهاض أهل السنة بالأدلة العقلية على هذه العقائد دفعاً في صدور هذه البدع، وقام بذلك الشيخ أبو الحسن الأشعري إمام المتكلمين، فتوسط بين الطرق ونفى التشبيه، وأثبت الصفات المعنوية وقصر التنزيه على ما قصره عليه السلف. وشهدت له الأدلة المخصصة لعمومه، فأثبت الصفات الأربع المعنوية والسمع والبصر والكلام والقائم بالنفس بطريق العقل والنقل، وردّ على المبتدعة في ذلك كله، وتكلم معهم فيما مهّدوه لهذه البدع من القول بالصلاح والأصلح والتحسين والتقبيح، وكمّل العقائد في البعثة وأحوال المعاد والجنة والنار والثواب والعقاب»[3].

---

(١) ابن المبارك: عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلي بالولاء التميمي المروزي الحافظ أبو عبد الرحمن شيخ الإسلام (ت ١٨١هـ-٧٩٧م). ينظر: الأعلام: ٤/ ٢٥٦.

(٢) تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري، ابن عساكر الدمشقي (٥٧١هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٧٩م: ١٥.

(٣) المقدمة: ٨٣٣.

٥- التبصير بالدين وتمييز الفرقة الناجية عن فرق الهالكين: فصل في ذكر الفرق، أنواعها، وكيف أنها جاءت بالبدع التي لم يكن عليها السلف الصالح، ثم ذكر بعد ذلك: «واعلم أن جميع ما ذكرناه من اعتقاد أهل السنة والجماعة فلا خلاف في شيء منه بين الشافعي وأبي حنيفة رحمهما الله وجميع أهل الرأي والحديث مثل الإمام مالك والأوزاعي وداود والزهري والليث بن سعد[١] وأحمد بن حنبل وسفيان الثوري وسفيان بن عيينة ويحيى بن معين[٢] وإسحاق بن راهويه[٣] ومحمد بن إسحاق الحنظلي[٤] ومحمد بن أسلم الطوسي[٥] ويحيى بن يحيى[٦] والحسين بن الفضل البجلي[٧] وأبو يوسف[٨] ومحمد[٩] وزفر[١٠] وأبي ثور وغيرهم من أئمة أهل الحجاز والشام والعراق وأئمة خراسان وما وراء النهر ومن تقدمهم من الصحابة والتابعين وأتباع التابعين»[١١].

---

(١) الليث بن سعد بن عبد الرحمن الفهمي بالولاء إمام أهل مصر في عصره فقهاً وحديثاً (ت ١٧٥هـ-٧٩١م). ينظر الأعلام: ٦/ ١١٥.

(٢) يحيى بن معين بن عون بن زياد المري بالولاء البغدادي من أئمة الحديث (ت ٢٣٣هـ-٨٤٨م). ينظر: الأعلام: ٩/ ٢١٨.

(٣) إسحاق بن راهويه بن إبراهيم بن مخلد الحنظلي التميمي عالم خراسان (ت ٢٣٨هـ-٨٥٣م). ينظر: الأعلام: ١/ ٢٨٤.

(٤) محمد بن إسحاق الحنظلي. ينظر: التبصير في الدين: ١٨٣.

(٥) محمد بن أسلم الطوسي: الكندي المحدث والمفسر والمتكلم (ت ٢٤٢هـ-٨٥٦م). ينظر: الأعلام: ٩/ ٢٢٣.

(٦) يحيى بن يحيى بن بكر بن عبد الرحمن شيخ الإسلام وعالم خراسان أبو بكر زكريا التميمي المنقري النيسابوري الحافظ (ت ٢٢٦هـ). ينظر: سير الأعلام: ٩/ ١٩٥.

(٧) الحسين بن الفضل البجلي. ينظر: التبصير في الدين: ١٨٣.

(٨) أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم بن حبيب الأنصاري الكوفي البغدادي صاحب الإمام أبو حنيفة (ت ١٨٢هـ-٧٥٨م). ينظر: الأعلام: ٩/ ٢٥٢.

(٩) محمد بن الحسن بن فرقد من موالي بني شيبان إمام بالفقه والأصول صاحب أبي حنيفة (ت ١٨٩هـ-٩٠٤م). ينظر: الأعلام: ٦/ ٣٠٩.

(١٠) زفر بن هذيل بن قيس العنبري من تميم فقيه كبير من أصحاب أبي حنيفة (ت ١٥٨هـ-٧٧٥م). ينظر: الأعلام: ٣/ ٧٨.

(١١) التبصير في الدين: ١٨٣-١٨٤.

٦- اعتقاد أهل السنة والجماعة لعدي بن مسافر الأموي، تحقيق صالح خليل حمودي، قال: «ثم المنقلب إلى خير، والتثبيت على الكتاب والسنة والجماعة، فهذا اعتقادنا والذي نقلناه عن السلف، وعن أئمة الدين وعن مشايخنا ﷺ. وأن اعتقادنا هذا نقله جبريل ﷺ عن الله تعالى ونقله النبي ﷺ عن جبريل ﷺ ونقلته الصحابة عن النبي ﷺ، ثم نقله التابعون عن الصحابة أجمعين خلف من بعد خلف وسلف بعد سلف إلى يوم القيامة»، ثم ذكر قرابة مائة من الصحابة وتابعيهم مبتدأ بأبي بكر ﷺ ومنتهياً بأبي حاتم، ثم قال: هؤلاء السادة المذكورون هم أئمة الدين رضي الله عنهم أجمعين[1].

٧- تاريخ الفكر العربي لعمر فروخ: قال: ليس في تاريخ الفكر، فيما أحسب، حركة بدأت في ساعة نهار غير الأشعرية، في يوم الجمعة من أيام سنة ٢٩٥هـ- في الأغلب- رقى أبو موسى الأشعري كرسياً في المسجد الجامع في البصرة ونادى بأعلى صوته: من عرفني فقد عرفني، ومن لم يعرفني فأنا أعرّفه بنفسي، أنا أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري، كنت أقول بخلق القرآن، وأن الله لا تراه الأبصار، وأن أفعال الشر أنا أفعلها، وأنا تائب مقلع عن ذلك معتقد للرد على المعتزلة مخرج لبغضائهم ومعايبهم».

منذ ذلك اليوم أعلن الأشعري الحملة على المعتزلة وأصبح في العالم الإسلامي مذهب كلامي جديد اسمه المذهب الأشعري، وهو في الحقيقة اسم جديد لمذهب أهل السنة والجماعة، أما الجديد والحقيقي في هذا المذهب فهو استخدام أدلة خصومه المعتزلة لينقض بها آراءهم وحججهم.

في هذا الوقت نفسه كان في العالم الإسلامي فقيهان آخران ينهجان النهج نفسه، ولكن الإمام الأشعري كان أكثر منهما حظاً في الشهرة التي نالها والأثر الذي تركه. هذان الفقيهان هما أحمد بن محمد الطحاوي (ت ٣٢١هـ) في مصر، وأبو منصور الماتريدي (ت ٣٣٣هـ) في سمرقند.

---

(١) اعتقاد أهل السنة والجماعة، عدي بن مسافر الأموي، تحقيق صالح خليل حمودي، بحث مقدم إلى كلية العلوم الإسلامية لنيل شهادة الماجستير: ٧٥ وما بعدها.

ثم يقول: إلى أبي الحسن الأشعري ينسب مذهب الأشعرية. ولكن الأشعرية ليست مذهباً جديداً، ولا مذهباً موازياً للاعتزال مثلاً، ولكنها رجوع إلى رأي أهل السنة والجماعة من المسلمين الأولين. أما العنصر البارز في الأشعرية فهو النظام الجدلي الذي استخدمه الإمام الأشعري في نصرة مذهب السنة[1].

لدى هذه الدراسة والنظر في الكتب المهتمة بموضوع العقائد والفرق، والدراسات المستفيضة في هذا الشأن لابد لنا من إيضاح وبيان الفترة التي نشأت فيها تسمية هذا المصطلح ومتى أطلق ومتى بدأ. هناك جملة من الأقوال التي يحدد من خلالها هذا المصطلح.

فقد اختلفت الآراء حول ظهور هذا المصطلح لدى مطالعتنا لهذه المراجع وخلاصة ما وصلنا إليه هو ما يلي:

١- المقصود من أهل السنة والجماعة هم سلف هذه الأمة من الصحابة والتابعين وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين.

إن جملة ما رأينا في هذه المراجع يبين لنا أن ابتداء المصطلح ظهر في زمن أصحاب النبي وهذا ما ذكره صاحب كتاب التبصير في الدين، وكذلك كتاب اعتقاد أهل السنة والجماعة لعدي بن مسافر، وكتاب تبيين كذب المفتري، وأخيراً عمر فروخ في كتابه تاريخ العرب. وهذا يرجع إلى أمور منها:

أ- تمسك الصحابة بما جاء عن رسول الله ﷺ من السنة المطهرة وعدم الخوض في القضايا الكلامية كالقدر وغيره، ووقوفهم عند النص وعدم الخوض في الإلهيات، وأخذها من رسول الله ﷺ وكتاب الله العزيز والاهتمام بالتقرب إليه تعالى بالعبادة والطاعة، وهو التزام بالسنة.

ب- التزام الجماعة والتي أكد عليها رسول الله ﷺ وعدم البعد عنها وهذا ما أدوه قولاً وعملاً.

وهذا ما يعبر عنه بالسنة والجماعة، فهذه اللفظة وإن لم تطلق فإن معناها متحقق باعتبارهم السلف الصالح والقدوة في ذلك.

---

(١) تاريخ الفكر العربي: ٣٣١-٣٣٢.

٢- المقصود بأهل السنة كما ذكر الشهرستاني في الملل والنحل هم طبقة التابعين الذين ظهر فيهم القول بالقدر والجبر والخوارج والمعتزلة كالإمام الحسن البصري والإمام مالك بن أنس والإمام أحمد بن حنبل والإمام الشافعي وأبي حنيفة وغيرهم من أئمة الدين الذين تصدوا للبدعة وظهورها، والفتن وغيرها من الجهمية والقدرية والجبرية والمرجئة والمعتزلة وغيرهم.

٣- إن هذا المصطلح ظهر من خلال هذه المراجع في زمن أبي الحسن الأشعري وأبي منصور الماتريدي والإمام الطحاوي، كما ذكره صاحب المقدمة ابن خلدون وصاحب تاريخ الفكر العربي عمر فروخ وابن عساكر في تبيين كذب المفتري والشهرستاني في الملل والنحل.

والذي تبين لي من خلال اطلاعي على جملة من المراجع المعتبرة عند المسلمين توصلت إلى أمرين اثنين:

١- الأمر الأول: هو إطلاق مصطلح أهل السنة والجماعة ومن هم المعنيون بهذا المصطلح، هذا ما سأذكره في مبحث من هم أهل السنة والجماعة.

٢- الأمر الثاني: ظهور هذا المصطلح ومن هو أول من أطلق عليه هذا المصطلح تحقيقاً لدى العلماء أن المصطلح نشأ منذ ابتداء أبي الحسن الأشعري بمناظرة المعتزلة، واعتزل أقوالهم وهذا ما حققه الشهرستاني وابن عساكر وابن خلدون وعمر فروخ وغيرهم.

ومن هنا نعلم أن نشوء هذا المصطلح كمصطلح عند العلماء هو في غضون القرن الثالث الهجري وتحديداً منذ أن وقف أبو الحسن الأشعري لكي ينتصر للسنة.

فهذا المصطلح ظهر قبالة الفرق المبتدعة التي خالفت السنة المطهرة وجماعة المسلمين.

وذلك بطرح الآراء المخالفة والتي لم يتطرق إليها السلف من الصحابة والتابعين وتابع التابعين لهم بإحسان.

وقد لقب الإمام أبو الحسن الأشعري بشيخ أهل السنة والجماعة وذلك لتمسكه بالنقل والرد على المخالفين بالنقل والعقل وإعلانه أنه على سنة السلف الصالح وأنه على مذهب الإمام أحمد بن حنبل ناصر السنة وإمام المسلمين.

وعلى هذا يتبين لنا متى نشأ المصطلح وفي أي الظروف والملابسات التي وقعت فيها الأمة. فظهور هذا المصطلح ليميز الخبيث من الطيب وأهل الاتباع من أهل الابتداع، ومن هو ملتزم بالسنة ومتبع لأثر الصحابة ومن هو مخالف. والله أعلم بالصواب.

الفصل الثاني

أهل السنة والجماعة بنية المصطلح

نصدر كلامنا عن دراسة بنية المصطلح بما قاله العلامة التهانوي في كتابه كشاف اصطلاحات الفنون حيث قال: «إن أكثر ما يحتاج به في تحصيل العلوم المدونة والفنون المروجة إلى الأساتذة هو اشتباه الاصطلاح، فإن لكل علم اصطلاحاً خاصاً به إذا لم يعلم بذلك لا يتيسر للشارع فيه الاهتداء إليه سبيلاً، وإلى انفهامه دليلاً»[1].

يفهم من هذا أنه لابد من الاصطلاح ودراسته من أجل أن نميز بين المعلومات، فإن الاصطلاح محدد لمعالم أي علم يمكن طرقه والولوج فيه وإذا لم تعرف معنى المصطلح وتركيبه سواء الشكلي أو المضموني -أي الشكل والمعنى- لا يمكن ولوج هذا العلم بأي شكل من الأشكال أو ربما يصعب الدخول إليه إلى درجة الاستحالة، إذاً لدراسة المدلول والدلالة في المصطلح أمرٌ في غاية الأهمية لأنه الدليل ولا غيره.

ثم إن مصطلح أهل السنة والجماعة له من الأهمية في حياة المسلمين فهو الذي يقرر عقائدهم المرتبطة بسنة المصطفى وبجماعة المسلمين.

وكذلك من الناحية العلمية فإن دراسة بنية المصطلح وجذوره من حيث البنية شكلاً ومضموناً أو مفهومياً أمرٌ لا غنى عنه. ولكي نفهم من أين جاء هذا المصطلح ومن هم المعنيون به لابد من تفصيل في بيان الشكل والمضمون.

ومن هنا جاءت هذه الأهمية وسأفصل في هذا الفصل ومن خلال مبحثين هذا المعنى.

---

(١) كشاف اصطلاحات الفنون: ١

المبحث الأول

بنية المصطلح الشكلية

ممن يتكون هذا المصطلح: هناك ثلاثة ألفاظ يتكون منها هذا المصطلح وهذه الألفاظ لها مدلولاتها اللغوية، فلا بد من دراسة جذورها اللغوية من أين جاءت وتفريعاتها، تصريفاً، وتركيباً، ومعنًى.

وهذه الألفاظ الثلاثة هي:

أهل – السنة – الجماعة.

إن من إضافة أهل إلى لفظة السنة والجماعة تكون لدينا هذا المصطلح الذي له مدلولاته ومعناه.

وبهذا التركيب تولد هذا المصطلح وأصبح له دلالة.

إن الاهتمام بشكل هذا المصطلح مهم جداً إذ يحدد من خلاله بناءه الشكلي وهذا المعنى هو المطلوب منه. ولو لم يكن بهذا الشكل لا يمكن أن نحصل على هذا المعنى.

وهذه الدراسة هي دراسة تحليلية، حيث يحلل المصطلح إلى عناصره التي تكون منها بطريقة الإضافة التي تشكل قيوداً يحدد من خلالها المعنى أو المضمون أو المفهوم من هذا المصطلح.

لأن كل كلمة من هذا التركيب تشكل معنى لمفردها لا يدل على المعنى الذي نريده.

وهذا الاستعمال كثيرٌ عند أهل العلم، عند تولد العلوم وأسمائها ومصطلحاتها فمثلاً أصول الدين. هذا المصطلح للعلم الذي يسمى بعلم العقائد أو التوحيد وهو مكون من كلمتين أصل ودين وعند دراسة هذين اللفظين تبين لنا أن الأصل هو أساس الشيء والدين هو ما يدين به الإنسان. فإضافة هاتين الكلمتين إلى بعضهما ينتج عندنا مصطلح جديد وهو يعني علم العقائد. وأصبح هذا المصطلح علماً وعنواناً لهذا العلم.

الأهل: قال ابن منظور[1] أهل الرجل، وأهل الدار، وكذلك الأَهْلة قال أبو الطَّمحان:

وأَهْلة ودٍ قد تبرّيت وُدهم   وأبليتهم في الحمد جُهدي ونائلي

---

(١) لسان العرب، الإمام جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي، دار صادر، مادة: أهل.

ابن سيده[1]: أهْل الرجل عشيرته وذوو قرباه، والجمع أهلـون، وآهـالٌ وآهـالٍ وأهْلات، وأهَلات قال المخبّل السعدي:

وهم أهَلات حوْل قيس بن عاصم ... إذا أدلجوا بالليل يدعون كـوثرا

وأنشد الجوهري:

وبلدةٍ ما الإنس من أهاليها ... ترى بها العَوْهقَ من وثالها

وثالها جمع وائل كقائم وقيام أو يروي البيت: وبلدة يستن حازي آلها.

قال سيبويه: وقالوا أهْلات فخففوا، شبهوها بصعبات، حيث كان أهـل مـذكراً تدخله الواو والنون، فلما جاء مؤنثه كمؤنث صَعْب فُعل به كما فُعل بمؤنث صـعب. قال ابن بري: وشاهد الأهل فيما حكي أبو القاسم الزجاجي أن حكيم بن معية الرّبعي كان يفضل الفرزدق على جرير، فهجا جرير حكيماً فانتصر له كناز بن ربيعة أو أخـوه ربعي بن ربيعة فقال يهجو جريراً:

غَضِبت علينا أن علاك ابـن غالـب ... فهلا على جـديك في ذاك تغـضب

هما حين يسعى المـرء مـسعاة أهلـه ... أناخـا فـشداك العقـال المـؤرب

وحكى سيبويه في جمع أهل: أهلون، وسئل الخليل: لم سكنوا الهاء ولم يحركوها كما حركوا أرَضين؟ فقال لأن الأهل مذكر، قيل: لم قالوا أهَلات؟ قال شبهوها بأرَضات. وأنشد بيت المخبل السعدي السابق الذكر، قال: ومن العرب من يقول أهْـلات عـلى القياس.

والأهالي جمع الجمع، وجاءت الياء التي في أهالي من الياء التـي في الأهْلـين، وفي الحديث أهل القرآن هم أهل الله وخاصته أي حفظة القرآن العاملون به هم أولياء الله والمختصون به اختصاص أهل الإنسان به، وفي حديث أبي بكر في اسـتخلاف عمـر: أقول له، إذا لقيته، استعملت عليهم خير أهلك يريد خير المهاجرين وكـانوا يـسمون أهل مكة أهل الله تعظيماً لهم كما يقال بيت الله، ويجوز أن يكون أراد أهل بيت الله لأنهم سكان بيت الله، وفي حديث أم سلمة: ليس بك من أهلك هوان؛ أراد بالأهـل نفـسه ﷺ، أي لا يعلق بك ولا يصيبك هوان عليهم.

---

(١) المخصص، أبو الحسن علي بن إسماعيل النحوي اللغوي ابن سيده، دار الفكر، ط ١: ٣/ ١٢٨.

واتَّهل الرجل: اتخذ أهلاً، قال:

في دارة تقسم الأزواد بينهم كأنما أهلنا منها الذي اتهلا

كذا أنشده بقلب الياء تاءً ثم إدغامها بالتاء الثانية.

وأهل المذهب: من يدين به. وأهل الإسلام: من يدين به. وأهل الأمر: ولاته.

وأهل البيت: سكانه. وأهل الرجل: أخص الناس به.

وأهل النبي ﷺ: أزواجه وبناته وصهره، أعني علياً ﷺ، وقيل نساء النبي ﷺ، والرجال الذين هم آله، وفي التنزيل: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرًا﴾[1].

وقول الله ﷻ لنوح ﷺ: ﴿إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَ﴾[2]، قال الزجاج: أراد ليس من أهلك الذين وعدتهم أن أنجيهم. قال ويجوز أن يكون ليس من أهل دينكَ وأهل كل نبي أمته.

وقولهم في الدعاء: مرحباً وأهلاً أي أتيت رحْباً أي سَعَةً. وفي المحكم: أي أتيت أهْلاً لا غرباء فاستأنس ولا تستوحش: وأهَّل به قال له أهلاً وأهِلَ به أنس.

وفي التنزيلُ: ﴿هُوَ أَهۡلُ ٱلتَّقۡوَىٰ وَأَهۡلُ ٱلۡمَغۡفِرَةِ﴾[3]، جاء في التفسير، أنه ﷻ أهْلُ لأن يتقى فلا يعصى، وأهل المغفرة لمن أتقاه. وقيل: قوله أهل التقوى موضِعُ لأن يتقى، وأهل المغفرة موضع لذلك.

قال الكفوي: أهل الرجل: من يجمعه وإياهم مسكن واحد، ثم سميت به من يجمعه وإياهم نسب أو دين أو صنعه أو نحو ذلك.

وعند أبي حنيفة رحمه الله، أهل الرجل: زوجته خاصة لأنها المراد أو في عرف اللسان يقال فلان تأهل، وبنى على أهله: تزوج.

---

(١) سورة الأحزاب/ ٣٣.

(٢) سورة هود/ ٤٦.

(٣) سورة المدثر/ ٥٦.

وعندهما أي عند أبي يوسف ومحمد: كل من يعولهم ويضمهم نفقته باعتبار الفرق والدليل عليه قوله تعالى: ﴿فَأَنجَيْنَهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ﴾[١]، وقوله تعالى جواباً لنوح: ﴿إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى﴾[٢]، يدل على أن من لم يدن بدين امرئ لا يكون من أهله. كذا قوله في امرأة لوط: ﴿إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ﴾[٣].

قال في المفردات[٤] وأهل الإسلام الذين يجمعهم، ولما كانت الشريعة حكمت برفع حكم النسب في كثير من الأحكام بين المسلم والكافر قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ﴾[٥]، وقال: ﴿وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ﴾[٦].

ثم قال الكفوي: وأهل النبي أزواجه وبناته وصهره علي كما ذكر- ابن منظور- أو نساؤه والرجال الذين هم آله. وأهل كل نبي: أمته.

وآل الله ورسوله: أولياؤه، وأصله: أهل، وقيل الأهل: القرابة كان لها تابع، أولم يكن والآل: القرابة بتابعها. وأهل الأمر: ولاته. وأهل البيت: سكانه أو من قوم الأب، والبيت بيت النسبة، وبيت النسبة للأب: ألا ترى أن إبراهيم بن محمد ﷺ من أهل بيت النبوة ولم يكن من القبط وأنسابه.

وأهل المذهب: من يدين به. وأهل الحق: هم الذين يعترفون بالأحكام المطابقة للواقع، والأقوال الصادقة والعقائد السليمة والأديان الصحيحة والمذاهب المتينة.

والمشهور من أهل السنة في ديار خراسان والعراق والشام وأكثر الأقطار هم الأشاعرة أصحاب أبي الحسن الأشعري. من نسل أبي موسى الأشعري من أصحاب الرسول ﷺ وفي ديار ما وراء النهر والروم أصحاب أبي منصور الماتريدي[٧].

---

(١) سورة الأعراف/ ٨٣؛ سورة النمل/ ٥٧.

(٢) سورة هود/ ٤٦.

(٣) سورة العنكبوت/ ٣٣.

(٤) المفردات في غريب القرآن، ابن القاسم الحسين بن محمد الملقب بالراغب الأصبهاني (ت ٥٠٢هـ)، تحقيق حمدان كيلان، دار المعرفة، بيروت: ٢٨، مادة: أهل.

(٥) سورة هود/ ٤٦.

(٦) سورة هود/ ٤٠؛ سورة المؤمنون/ ٢٧.

(٧) ينظر: الكليات: ٢١٠؛ لسان العرب مادة (أهل)؛ القاموس المحيط، مجد الدين بن يعقوب الفيروزآبادي (ت ٨١٧هـ) مؤسسة الحلبي، مادة (أهل)؛ الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط ٢، ١٩٧٥م، مادة (أهل).

وأهل القبلة من صدق بضروريات الدين كلها عند التفصيل.

وأهل الأهواء من أهل القبلة: الذين معتقدهم غير معتقد أهل السنة وهم: الجبرية، والقدرية، والروافض[(١)]، والخوارج، والمعطلة[(٢)]، والمشبِّهة[(٣)]، فكل منهم اثنا عشر فرقة كلهم في الهاوية على ما قال النبي ﷺ:

«افْتَرَقَتْ الْيَهُودُ عَلَى إِحْدَى وَسَبْعِينَ فِرْقَةً فَوَاحِدَةٌ فِي الْجَنَّةِ وَسَبْعُونَ فِي النَّارِ وَافْتَرَقَتْ النَّصَارَى عَلَى ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً فَإِحْدَى وَسَبْعُونَ فِي النَّارِ وَوَاحِدَةٌ فِي الْجَنَّةِ وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَتَفْتَرِقَنَّ أُمَّتِي عَلَى ثَلاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً وَاحِدَةٌ فِي الْجَنَّةِ وَثِنْتَانِ وَسَبْعُونَ فِي النَّارِ، قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ مَنْ هُمْ؟ قَالَ: الْجَمَاعَةُ»[(٤)].

هذا خلاصة ما ذكره علماء اللغة المتقدمين والمتأخرين ومن ينسج على منوالهم في معرفة أصل هذه الكلمة مع إضافاتها واختيارها، فيما نرى هو مناسب لهذا الاصطلاح من حيث هي كلمات أو مفردة من مفردات هذا المصطلح.

السنة: عند أهل اللغة: والسَنَنُ: الوجه من الأرض وفيه لغات أجودها بفتحتين والثانية بضمتين والثالثة وازن رُطب ويقال تنح عن (سنن) الطريق وعن (سَنَن) الخيل أي طريقها وفلان على (سَنَنٍ) واحد أي طريق، و(السُنَّة) الطريقة و(السُّنّة) السيرة حميدة كانت أم ذميمة، والجمع (سُنَن) مثل غرفة وغرف و(المسناة) حائط يبنى في وجه الماء وسين (السّد)[(٥)].

---

(١) الروافض: وهم الذين قالوا أن علياً إله الخلق حتى أحرق عليٌّ منهم وظهر بعد ذلك سائر صنوف الروافض. ينظر: التبصير بالدين: ٢١.

(٢) المعطلة: ويقال لهم الجهمية والزنادقة والقرامطة أيضاً وأصل دعوتهم بناء على أنهم يزعمون أنه لا يجوز أن يقال إن الله موجود أو شيء وهكذا يزعمون في سائر الصفات وينكرون الصراط والميزان والشفاعة. ينظر: الفرق المفترقة: ٨٦.

(٣) المشبهة: وهم صنفان، صنف يشبه ذاته بغيره من الذوات وصنف منهم يشبه صفاته بصفات أغياره. التبصير في الدين: ١١٩؛ التعريفات: ١٩٢.

(٤) رواه ابن ماجه في سننه في كتاب الفتن باب افتراق الأمم.

(٥)المصباح المنير، مادة: (سنن).

قال ابن منظور: وسنة الله أحكامه وأمره ونهيه، هذه عن اللحياني، وسنها الله للناس بينها، وسن الله سُنة أي بين طريقاً قويماً، قال الله تعالى: ﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ فِي ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلُ﴾[1]. نصب سنة الله على إرادة الفعل أي سنّ الله ذلك في الذين نافقوا الأنبياء وأرجفوا بهم أن يقتلوا أين ثقفوا أي وجدوا.

وفي التنزيل العزيز: ﴿وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓاْ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُواْ رَبَّهُمْ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ قُبُلًا﴾[2].

قال الزجاج: سنة الأولين أنهم عاينوا العذاب فطلب المشركون أن قالوا: ﴿ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾[3].

وسنتها سناً واستننتها: سرتها، وسنت لكم سنة فاتبعوها.

قال في التهذيب[4]: السنة الطريقة المحمودة المستقيمة، ولذلك قيل فلان من أهل السنة معناه من أهل الطريقة المستقيمة المحمودة، وهي مأخوذة من السنن وهو الطريق، والسنة الطبيعة، قال الأعشى:

كريم شمائله من بني معاوية الأكرمين السننا

وامض على سننك أي وجهك وقصدك، وللطريق سنن أيضاً وسَنَن الطريق وسُنَنَه، وسُنُنُه: نهجه، يقال خدعك سنن الطريق، وسُنَّته والسنة أيضاً: سنة الوجه، وقال اللحياني: ترك فلان لك سنن الطريق وسُنَنَه وسِننه أي جهته. قال ابن سيدة: ولا أعرف سِننا عن غير اللحياني.

(١) سورة الأحزاب/ ٣٨.
(٢) سورة الكهف/ ٥٥.
(٣) سورة الأنفال/ ٣٢.
(٤) ينظر: تهذيب اللغة، الأزهري أبو منصور محمد بن محمد (ت ٣٧٠هـ)، تحقيق إبراهيم الأبياري، مادة: سنن، دار الكتاب العربي، ١٩٦٧.

شَمْر: السنة في الأصل سنة الطريق، وهو طريق سَنّه أوائل الناس فصار مسلكاً لمن بعدهم. وسَنّ فلان طريقاً من الخير يسنه إذا ابتدأ أمراً من البرّ لم يعرفه قومه فاستنوا به وسلكوه[١].

السنة عند أهل الحديث

يصطلح أهل الحديث في السنة: كل ما أثر عن النبي ﷺ من قول، أو فعل، أو تقرير، أو صفة خُلقية، أو خَلقية أو سيرة، سواء أكان ذلك قبل البعثة كتحنثه في غار حراء، أم بعدها[٢]. يقول صاحب توثيق السنة[٣]: إذا بدأنا بالاستعمالات الأولى للسنة، وجدنا أنهم يريدون بها عمل الرسول ﷺ وطريقته، فقد روى البخاري في صحيحه حديث ابن شهاب عن سالم بن عبد الله[٤] عن أبيه في قصته مع الحجاج حين قال له إن كنت تريد السنة فهجر بالصلاة[٥]، قال ابن شهاب: فقلت لسالم: أفعله رسول الله ﷺ؟ قال وهل يعنون بذلك إلاّ سنته؟! ... ويعلق السيوطي على هذا بقوله: «ففعل سالم، وهو أحد الفقهاء السبعة من أهل المدينة، وأحد الحفاظ من التابعين عن الصحابة أنهم إذا أطلقوا السنة لا يريدون بذلك إلاّ سنة النبي ﷺ»[٦]. ومن هذا قول أبي قلابة[٧] من السنة إذا تزوج البكر على الثيب أقام عندها سبعاً. وأقوال أبي قلابة: لو شئت لقلت: أن أنساً رفعه إلى النبي ﷺ، أي لو قلت لم أكذب، لأن قوله من السنة. هذا معناه[٨].

---

(١) لسان العرب، مادة: سنن.

(٢) السنة قبل التدوين، محمد عجاج الخطيب، مكتبة وهبة، مصر، ط ١، ١٣٨٣هـ/ ١٩٦٣م: ٤٦.

(٣) توثيق السنة في القرن الثاني الهجري أسسه واتجاهاته، د. رفعت فوزي عبد المطلب، مكتبة الخانجي بمصر، ط ١، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨١م: ١٢.

(٤) سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب القرشي أحد فقهاء المدينة السبعة (ت ١٠٦هـ-٧٢٥م). ينظر: الأعلام: ٣/ ١١٤.

(٥) أي صلها في الهاجرة، والهاجرة اشتداد الحر في نصف النهار، فتح الباري للإمام العسقلاني: ٢/ ١٧.

(٦) تدريب الراوي للإمام جلال الدين عبد الرحمن السيوطي (ت ٩١١هـ) تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف، ط ٢، دار الكتب الحديثة، القاهرة، ١٢٨٥هـ/ ١٩٦٦م: ١/ ١٨٨-١٨٩.

(٧) أبو قلابة: عبد الله بن زيد بن عمرو الجَرْمي عالم بالقضاء والأحكام من أهل البصرة كان من رجال الحديث (ت ١٠٤هـ-٧٢٢م). ينظر: الأعلام: ٤/ ٢١٩.

(٨) المصدر السابق: ١/ ١٨٩.

وأخرج الحاكم في المستدرك عن زياد بن عبد الله النخعي قال: كنا جلوساً مع علي ﷺ في المسجد الأعظم فجاء المؤذن فقال: الصلاة يا أمير المؤمنين، فقال: اجلس. فجلس، ثم عاد فقال له ذلك فقال علي: هذا الكلب يعلمنا السنة؟ فقام عليٌّ فصلى بنا العصر ثم انصرفنا. فرجعنا إلى المكان الذي كنا فيه جلوساً، فجثونا للركب، لتزور الشمس للمغيب فتراءاها[١].

وقد أطلقها عمر ﷺ وذكرها ابن عباس، وعمرو بن العاص، وعائشة رضوان الله عليهم، وأرادوا بها سنة رسول الله ﷺ[٢].

ولهذا قال الشافعي رحمه الله: مطلق السنة يتناول سنة رسول الله ﷺ فقط.

وقد نطلق السنة ويراد بها عمل الصحابة ﷺ أو التابعين سواء أكان مأخوذاً من الكتاب أو من سنة رسول الله ﷺ أم من اجتهادهم، وقد ساغ هذا، لأن عملهم، اتباع لسنة ثبتت عندهم، لم تنقل إلينا، أو اجتهاد مجتمع عليه منهم أو من الخلفاء[٣].

وقد اعتبر الإمام مالك والإمام أحمد، رحمهما الله فتاوى الصحابة ﷺ من السنة[٤].

وينقل السرخسي[٥]: أن السلف كانوا يطلقون اسم السنة على طريقة أبي بكر وعمر رضوان الله عليهما، وكانوا يأخذون البيعة على سنة العمرين، وبين أن أصل هذا الإطلاق قوله عليه الصلاة والسلام: «عليكم بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ»[٦].

(١) المستدرك على الصحيحين، أبي عبد الله الحاكم (٤٠٥هـ)، مكتبة ومطابع النصر الحديثة، الرياض: ١/ ١٩٢. وقال هذا صحيح ولم يخرجاه، وقال الذهبي صحيح.

(٢) اختلاف الحديث للإمام الشافعي على هامش الجزء السابع من كتاب الأم له، طبعة دار الشعب، ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م: ٧/ ٢٥.

(٣) الموافقات في أصول الأحكام، أبي إسحاق إبراهيم الشاطبي (٧٩٠هـ)، المكتبة السلفية، القاهرة، ١٣٤١هـ: ٤/ ٢-٣.

(٤) ابن حنبل حياته وعصره – آراؤه وفقهه، الأستاذ محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي، مصر: ٢٥١.

(٥) أصول السرخسي، محمد بن أحمد بن أبي سهل السرخسي (٤٩٠هـ)، تحقيق أبو الوفا الأفغاني، نشر لجنة إحياء المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن، الهند، ١٣٧٢هـ: ١/ ١١٣.

(٦) رواه الترمذي في جامعه في كتاب العلم وقال فيه حديث حسن صحيح.

وقد تطلق السنة في مقابلة البدعة أي ما يحدثه الناس من قول أو عمل في الدين مما لم يؤثر عنه ﷺ، وعن أصحابه.

يقول الشاطبي: «فيقال فلان على سنة إذا عمل على وفق ما عمل عليه النبي ﷺ، كان ذلك مما نص عليه في الكتاب أولاً ... ويقال: فلان على بدعة، إذا كان على خلاف ذلك، واعتبر في هذا الإطلاق عمل صاحب الشريعة، وإن كان العمل بمقتضى الكتاب»[١].

والسنة عند الشيعة لها إطلاق يختلف إلى حد كبير عن كل هذا. لأنها عندهم قول النبي ﷺ أو فعله أو تقريره وقول كل واحد من المعصومين أو فعله أو تقريره، وذلك لأن المعصوم من آل البيت يجري قوله مجرى قول النبي ﷺ من كونه حجة على العباد واجب الاتباع. «والأئمة عندهم ليسوا من قبيل الرواة عن النبي ﷺ! بل لأنهم المنصوبون من الله على لسان النبي لتبليغ الأحكام وذلك من طريق الإلهام كالنبي من طريق الوحي أو من طريق التلقي من المعصوم قبله»[٢].

فالسنة إذاً عند علماء الحديث هو ما أثر عن النبي ﷺ قولاً أو فعلاً أو تقريراً أو صفة سواء أدل ذلك على حكم شرعي أم لا.

السنة في اصطلاح علماء أصول الفقه

هي كل ما صدر عن النبي ﷺ غير القرآن الكريم، من قول، أو فعل، أو تقرير، مما يصلح أن يكون دليلاً لحكم شرعي.

أما القول: فهو أحاديثه ﷺ التي قالها في مختلف الأغراض والمناسبات، فترتب على ذلك حكم شرعي كقوله عليه الصلاة والسلام «وَلا وَصِيَّةَ لِوَارِثٍ» وقوله «لا ضَرَرَ وَلا ضِرَارَ»[٣]، وقوله في زكاة الزروع «فِيمَا سَقَتْ السَّمَاءُ وَالْعُيُونُ أَوْ كَانَ عَثَرِيًّا: الْعُشْرُ وَمَا سُقِيَ بِالنَّضْحِ: نِصْفُ الْعُشْرِ»[٤].

---

(١) الموافقات: ٤/ ٢-٣.

(٢) أصول الفقه، محمد رضا المظفر، ط ٣، دار النعمان، النجف، ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م: ٣/ ٦١.

(٣) رواه الإمام أحمد وابن ماجه، ينظر سبل السلام: ٣/ ٨٤.

(٤) فتح الباري بشرح صحيح البخاري: ٤/ ٩٠. والعثري ما امتدت عروقه فشرب من النهر أو مستنقع من غير سقي.

وأما الفعل فهو أفعاله التي نقلها إلينا الصحابة مثل: أدائه الصلوات الخمس بهيئتها وأركانها، وأدائه منسك الحج، وقضاؤه بالشاهد واليمين»(١).

وأما التقرير: فكل ما أقره الرسول ﷺ، مما صدر عن بعض الصحابة من أقوال وأفعال، بسكوت منه وعدم إنكار، أو بموافقة وإظهار استحسانه وتأييده، فيعتبر ما صدر عنهم بهذا الإقرار والموافقة عليه صادراً عن رسول الله ﷺ. ومن ذلك ما رواه أبو سعيد الخدري ﷺ: «خَرَجَ رَجُلانِ فِي سَفَرٍ فَحَضَرَتْ الصَّلاةُ وَلَيْسَ مَعَهُمَا مَاءٌ فَتَيَمَّمَا صَعِيدًا طَيِّبًا فَصَلَّيَا ثُمَّ وَجَدَا الْمَاءَ فِي الْوَقْتِ فَأَعَادَ أَحَدُهُمَا الصَّلاةَ وَالْوُضُوءَ وَلَمْ يُعِدْ الآخَرُ، ثُمَّ أَتَيَا رَسُولَ اللهِ ﷺ فَذَكَرَا ذَلِكَ لَهُ. فَقَالَ لِلَّذِي لَمْ يُعِدْ: أَصَبْتَ السُّنَّةَ وَأَجْزَأَتْكَ صَلاتُكَ، وَقَالَ لِلَّذِي تَوَضَّأَ وَأَعَادَ: لَكَ الأَجْرُ مَرَّتَيْنِ»(٢).

ومنه إقراره لاجتهاد الصحابة في أمر صلاة العصر في غزوة بني قريظة، حين قال: «لا يُصَلِّيَنَّ أَحَدٌ الْعَصْرَ إِلاَّ فِي بَنِي قُرَيْظَةَ»(٣) ففهم البعض هذا النهي على حقيقته فأخرها إلى ما بعد المغرب، وفهمه بعضهم على أن المقصود حث الصحابة على الإسراع فصلاها في وقتها، فبلغ ذلك النبي ﷺ ما فعل الفريقان فأقرهما ولم ينكر على أحدهما.

السنة عند الفقهاء(٤)

فهي كل ما ثبت عن النبي ﷺ ولم يكن من باب الفرض ولا الواجب، فهي الطريقة المتبعة في الدين من غير افتراض ولا وجوب. وقد تطلق السنة عند الفقهاء في مقابله البدعة. والبدعة لغة: الأمر المستحدث، ثم أطلقت في الشرع على كل ما أحدثه الناس من قول وعمل في الدين، وشعائره، ومما يؤثر عنه ﷺ وعن أصحابه أنه قال ﷺ: «مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ»(٥).

---

(١) ينظر مسند الإمام أحمد الأحاديث رقم: ٢٢٢٤ و ٢٨٨٨ و٢٩٦٩ و ٢٩٧٠.

(٢) رواه أبو داود والدارمي.

(٣) رواه البخاري في صحيحه في كتاب الجمعة.

(٤) السنة قبل التدوين: ١٨؛ حجية السنة، د. عبد الغني عبد الخالق، دار السعداوي: ٥٠ وما بعدها.

(٥) صحيح مسلم: ٣/ ١٣٤٣.

وقال صاحب التوثيق[١]: وتطلق السنة على النوافل من العبادات غير الفروض، مما نقل عن النبي ﷺ سواء كانت مؤكدة يكره تركها أو غير ذلك[٢].

وبعد أن استقرت المصطلحات في مؤلفات أصول الحديث والفقه وأصوله وجدنا للسنة مفهومات محددة تسير عليها هذه المؤلفات، ويسير عليها العلماء المتأخرون في هذه العلوم.

فالسنة عند أهل اللغة الطريقة والسيرة، وعند أهل الحديث ما أثر عن النبي ﷺ. وعند علماء أصول الفقه: كل ما صدر عن النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير ما يصلح أن يكون دليلاً لحكم شرعي. والسنة عند علماء الفقه هي كل ما ثبت عن رسول الله ﷺ ولم يكن من باب الفرض، فهي الطريقة المتبعة في الدين من غير افتراض[٣].

الجماعة

المعنى اللغوي: قال الفيومي[٤]: جمعت الشيء (جمعاً) وجمّعته بالتثقيل مبالغة و(الجمعُ) أيضاً الجماعة، تسمية بالمصدر ويجمع على (جموع) مثل فلس وفلوس. و(الجماعة) من كل شيء يطلق على القليل والكثير ويقال لمزدلفة (جَمْعٌ) أما لأن الناس يجتمعون بها، أو أن آدم اجتمع هناك بحواء، ويوم الجمعة سمي بذلك لاجتماع الناس به، والجمع (جُمع) و(جُمْعات) مثل غرف وغرفات.

و(اجتمع) القوم و(استجمعوا) بمعنى تجمعوا. وجاء القوم جميعاً أي مجتمعين وجاءوا أجمعون، ورأيتهم أجمعين ومررت بهم أجمعين.

وجامعة في قول المنادي الصلاة جامعة حالٌ من الصلاة والمعنى عليكم الصلاة في حال كونها جامعة الناس، وهذا كما قيل للمسجد الذي يصلى فيه الجمعة الجامع لأنه

---

(١) توثيق السنة: ١٦.

(٢) الاتجاهات الفقهية عند المحدثين في القرن الثالث الهجري، د. عبد المجيد محمود، ط ١، دار العلوم، مكتبة الخانجي، ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م: ٣.

(٣) السنة قبل التدوين: ١٥-١٨.

(٤) المصباح المنير، مادة: جَمَعَ.

يجمع الناس لوقت معلوم، وكان عليه الصلاة والسلام يتكلم بجوامع الكلم، أي أن كلامه قليل الألفاظ كثير المعاني وحمدت الله بمجامع الحمد أي بكلمات جمعت أنواع الحمد والثناء على الله تعالى.

قال الكفوي[(١)]: الفِرقة بالكسر اسم لجماعة متفرقة من الناس بواسطة علامة التأنيث لأن الاسم يكون للجمع بالتأنيث كالمعتزلة والجماعة.

والجماعة أقلها ثلاثة.

قال الراغب[(٢)]: جَمَعَ: الجمع ضم الشي بتقريب بعضه من بعض، يقال جمعته فاجتمع. قوله تعالى: ﴿وَإِذَا كَانُواْ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمۡرٖ جَامِعٖ﴾[(٣)]، أي أمر خطير يجتمع لأجله الناس، فكأن الأمر نفسه جمعهم. وجمعوا شهدوا الجُمعة أو الجامع أو الجماعة.

فمفهوم الجماعة واضح لغة وهو اجتماع الناس وهو ضد الفرقة، ويدل في مجال الفكر الإسلامي، اجتماع المسلمين على أمرٍ جامع بينهم، يجمع كلمتهم حتى تصير كالكلمة الواحدة، أو كرجل واحدٍ في جميع أحوالهم. وقد تعطي اجتماعهم على الحق لا يضرهم من خالفهم.

الجماعة في الهدي النبوي

عند استقرائنا لأحاديث النبي ﷺ فإنه يؤكد على معنى الجماعة أي لزوم جماعة المسلمين، وعدم الانفلات منها، ودعوة الناس إليها، ونبذ كل ما من شأنه تفرقة كلمتهم، وانشقاق صفهم، فالجماعة في مفهوم التوجيه النبوي، هي الجماعة القائمة على الحق، المعتصمة بكتاب الله وسنة نبيه عليه الصلاة والسلام، لا تحيد عنها، ولا يضرها ضلال الضالين، ولا ابتداع المبتدعين.

فأعطى للجماعة معنًى مستوحًى من الكتاب والسنة، واضح المعالم ليس فيه غبش، ولا تحيطه الشبه، بل واضح كالشمس في رابعة النهار.

---

(١) الكليات: ٦٨٥.

(٢) المفردات: ٩٦.

(٣) سورة النور/ ٦٢.

قال عليه الصلاة والسلام: «إني تركت فيكم ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي كتاب الله وسنتي»[١]. ودعوته هذه صريحة واضحة المعالم ليس فيها لبس.

قال الإمام العسقلاني[٢]: تعليقاً وشرحاً لترجمة الإمام البخاري في قوله وما أمر النبي بلزوم الجماعة وهم أهل العلم قال: فعرف أن المراد بالوصف المذكور أهل السنة والجماعة، وهم أهل العلم الشرعي ومن سواهم، ولو نسب إلى العلم فهي نسبة صورية لا حقيقية، وورد الأمر بلزوم الجماعة في عدة أحاديث منها ما أخرجه الترمذي مصححاً من حديث الحارث بن الحارث الأشعري فذكر الحديث طويلاً وفيه «وَأَنَا آمُرُكُمْ بِخَمْسٍ اللهُ أَمَرَنِي بِهِنَّ السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ وَالْجِهَادُ وَالْهِجْرَةُ وَالْجَمَاعَةُ فَإِنَّهُ مَنْ فَارَقَ الْجَمَاعَةَ قِيدَ شِبْرٍ فَقَدْ خَلَعَ رِبْقَةَ الإِسْلامِ مِنْ عُنُقِهِ»[٣].

وفي خطبة عمر ﷺ المشهورة التي خطبها بالجابية: «عليكم بالجماعة وإياكم والفرقة فإن الشيطان مع الواحد، وهو من الاثنين أبعد» وفيه: «ومن أراد بحبوحة الجنة يلزم الجماعة». قال ابن بطال: مراد الباب الحض على الاعتصام بالجماعة.

ثم قال رحمه الله: «والمراد بالجماعة أهل الحل والعقد من كل عصر». قال الكرماني: مقتضى الأمر بلزوم الجماعة أنه يلزم المكلف متابعة ما أجمع عليه المجتهدون، وهم المراد بقوله (أهل العلم).

بعد دراسة الكلمات التي تكون منها مصطلح أهل السنة والجماعة وكل لفظ على حدة وما أعطى هذا اللفظ من معنًى لغوي وشرعي. وضح أمامنا بنية المصطلح الشكلي، حيث أدركنا من خلال هذا التحليل للمصطلح ما هي الأبعاد المعنوية لكل لفظ من هذه الألفاظ. ومن أين جاءت، ثم دراسة جذرها اللغوي والاستعمالات الأخرى، التي أعطتها معانٍ متعددة، وصبت في قوالب لغوية أعطت معنى غير المراد لغوياً لكنه يجمعه معه جامعٌ، وهو قدرة اللفظ على التعامل مع هذه المعاني.

---

(١) رواه الحاكم عن أبي هريرة. فيض القدير شرح جامع الصغير، المناوي، دار المعرفة، ١٣٩١هـ/ ١٩٧٢م.

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري، الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ)، دار الكتب العلمية، ط ١، ١٩٨٩م: ١٣/ ٣٩١.

(٣) رواه الترمذي في كتاب الأمثال عن رسول الله.

فأصبح (أهل) معروفة الدلالة على معانيها و(السنة) كذلك و(الجماعة) كذلك.

فإضافة أهل إلى هاتين اللفظتين (السنة) و(الجماعة) أعطتها بنية شكلية جديدة ذات مدلول اصطلاحي متميز عن غيره، فلو أخذنا كل مفردة من مفردات هذا المصطلح، فإنه يأخذ معنى آخر، أما عند الإضافة أصبح مصطلحاً لدى علماء هذا الشأن، وهو علم الكلام أو العقيدة. وله مدلول في الفكر الإسلامي، هذا المدلول له أبعاده المعنوية. وبهذا قد أنهينا المبحث الأول وهو دراسة البنية الشكلية للمصطلح.

المبحث الثاني

بنية المصطلح المفهومية

علمنا فيما سبق بنية المصطلح الشكلية وهي تعطي الدلالة على بنية المصطلح المفهومية، ولدى دراستنا لدلالة المصطلح المفهومية لابد أن نضع نصب أعيننا أمرين اثنين: وهو المعنى العام القريب والذي يتضح من خلاله مفهوم أهل السنة والجماعة بشكله العام ومضمونه القريب.

ثم يأتي المعنى البعيد أو المعنى الأدق في المفهوم والذي يأخذ مجالاً فكرياً محدداً له أبعاده ومقاصده وغاياته وقواعده وفروعه، وكيف أخذ حيزاً مهماً ورئيساً في الفكر الإسلامي، ليقف أمام كل الانحرافات ويحفظ للناس دينهم، ويقرر لهم أسس عقيدتهم ويقيمها على أصولها كتاب وسنة وإجماع الأمة.

المعنى القريب للمصطلح

يتبين لنا من الدراسة التي شرحت لنا بنية المصطلح الشكلية والتي تكونت من كلمات ثلاث والتي هي (أهل) وما تعني هذه الكلمة في مدلولها من معنى، وأنها تمثل، خاصة، ما يتصف فيه قومٌ دون قومٍ، وجماعة دون جماعةٍ، حسب إضافتها إلى كلمة أخرى لتعطي مدلولها كأهل المذهب أي أنصاره وأتباعه. ثم تأتي الكلمة التالية والتي أضفنا إليها كلمة (أهل) وهي (السنة) بمعنى الطريقة لغةً وما أثر عن النبي ﷺ من الأقوال والأفعال ثانية فكأننا نقول (أهل السنة) هم من يقوم باتباع أثر النبي ﷺ ويحافظون عليها ويدافعون عنها بكل ما أوتوا من قوة وينصرونها ويعتقدونها. وهم الذين يقومون بتمثيلها واقعاً وعملاً. ثم عطف عليها بكلمة (الجماعة) وهي تعني المجموعة من الناس لغة أي عدد من الأفراد قلوا أو كثروا، ثم يعطى في الاصطلاح الشرعي جماعة المسلمين.

فشكل عندنا هذا المصطلح مفهوماً متكاملاً عن الإسلام إذ المسلمون الحقيقيون الذين يتبعون الكتاب والسنة وأقوال الصحابة واجتهاداتهم ولا يغادرونها إلى غيرها هم من يمثلون هذا المعنى.

والإسلام ليس ديناً جديداً، ولكنه رجوع بالدين إلى صفائه الأول حيث جاء الرسول ﷺ بعد أربعين عاماً من ولادته ونزول الوحي عليه بعد اكتمال هذه المرحلة العمرية، فبعث إلى الناس كافة وأنزل عليه القرآن منجماً في ثلاث وعشرين سنة هي مدة دعوته.

ورأس وعمود أركان الإيمان في الإسلام التوحيد، وللتوحيد في الإسلام شرطان: الإيمان بالله واحدٌ بالعدد، وتنزيه الله عن كل صفة يتصف بها خلقه، وعلى أن تنسب إلى خلقه شيئاً من صفاته، إلاّ مع التأويل الصحيح.

ومن هذه الأركان الإيمان بالملائكة ولقد جاء الكلام على الملائكة والجن وإبليس والشياطين مفصلاً في القرآن الكريم، ولكن على أن يكون الإيمان بهم من العقيدة ثم لهؤلاء أثر في حياة المسلم العملية.

ومنها الإيمان بأن الله تعالى يبعث إلى خلقه رُسلاً وأن جميع الرسل متساوون في المقام من حيث أن الله بعثهم ولكنهم يتفاضلون من حيث أن الله فضل بعضهم على بعض، قال تعالى: ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ﴾[1]. وأن محمداً ﷺ هو خاتمهم فلا رسول بعده وأن شريعته تنسخ جميع الشرائع.

والكتب التي نزلت على الرسل والأنبياء كثيرة، منها الصحف المنزلة على إبراهيم عليه السلام والتوراة المنزلة على موسى عليه السلام، والزبور المنزل على داود عليه السلام، والإنجيل المنزل على عيسى عليه السلام، غير أن هذه الكتب قد بدلت وحرّفت، أما القرآن فلا يزال محفوظاً

---

(١) سورة البقرة/ ٢٥٣.

بمعناه ولفظه كما نزل، وفي القرآن الكريم أركان الإيمان والإسلام، وأحكام العبادات وأصول المعاملات مجملة، وفيه أيضاً مبادئ الأخلاق وأسس السياسة والاجتماع وجوانب من العلم وقصص مقصود للعبرة وللمغزى الأخلاقي التربوي للأفراد والأمم.

ولرسول الله ﷺ حديث وسنة، أما الحديث فهو مجموع الأقوال المروية عن رسول الله ﷺ مما ليس بقرآن بل وحي لأن القرآن والسنة هما وحي من عند الله لكن القرآن لفظه ومعناه من الله والسنة لفظها من رسول الله ومعناها موحًى من عند الله لقوله تعالى: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾[1]. وقوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾[2]، فالحكمة هي سنة المصطفى عليه الصلاة والسلام.

والسنة هي أعماله التي رويت عنه وأصبحت من أسس التشريع، إلاّ أن الحديث والسنة انتقلا بالرواية مدة من الزمن حتى بدأ الأئمة بتدوينها منذ أواخر القرن الأول الهجري.

ومن الأركان الإيمان باليوم الآخر، وبأن الله يبعث الناس يوم القيامة ويحاسبهم على ما فعلوا في الحياة الدنيا ثم يثيبهم بالجنة أو يعاقبهم بالنار جسمانيين أو روحانيين. ومنها الإيمان بالقضاء والقدر وأن كل ما يصيب الإنسان في الدنيا مقدر عليه غير أن في القرآن الكريم آيات تدل على أن الإنسان قد وهب حواسَّ وعقلاً يمكن أن يهتدي بها إلى الخير.

وإيمان المسلم لا يكون كاملاً إلاّ بالعمل الصالح، بأداء العبادات على وجهها وبالأخذ بما أمر الله تعالى به وترك ما نهى الله عنه[3].

(١) سورة النجم/ ٤.

(٢) سورة الجمعة/ ٢.

(٣) تاريخ الفكر العربي: ١٧٥ وما بعدها؛ أصول الدين الإسلامي: ٥٥ وما بعدها.

أما العبادات فمن أركان الإسلام، ورؤوس العبادات أربعة: الصلاة والصيام والزكاة والحج، فالصلاة خمس مرات في اليوم والليلة، وصيام شهر رمضان فرض على كل فرد إلاّ في حال المرض الشديد. وأما الزكاة والحج فعلى الأغنياء القادرين.

وهذه جملة أمور بيناها على وجه الإجمال لتبيين عقيدة المسلم، هذا ما جاء به الكتاب والسنة وهناك أمور يطول ذكرها لكننا اقتصرنا على الفروض والواجبات من الدين.

ومن خلال هذا كله علمنا بأن مصطلح أهل السنة والجماعة يرتكز على ثلاثة أمورٍ مهمةٍ:

١- الكتاب: وهو القرآن الكريم، وهو الوحي المنزل على رسول الله ﷺ المتعبد بتلاوته.

٢- السنة: وهي ما أثر عن النبي ﷺ من أقوال وأفعال وصفات خُلقية وخَلقية.

٣- جماعة المسلمين: وهم من يدينون بالإسلام ويطبقون شرع الله ﷻ (كتاب وسنة) ولا يحيدون عنها وهم سلفنا الصالح من الصحابة والتابعين وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين.

ومن يتمثلون بهذا الدين ويعتنقونه عقيدةً وشريعةً مبتعدين عن البدع والضلالات في الدين، والمحافظين على الجمع والجماعات والآخذين بإجماع الأمة في الاجتهادات والتطبيقات.

ولزوم جماعة المسلمين منصوص عليها بالكتاب والسنة، قال تعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟﴾(١)، فذكر سبحانه الاعتصام بالدين والقرآن، فهو حبل الله المتين ونهى عن الفرقة وتمزيق المسلمين.

فالحق ما قالوه والباطل ما دفعوه وكل بدعة هم منها بريئون، ولها ناكرون. قال عليه الصلاة والسلام: «مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ»(٢)، فكل ما ليس من الدين مردود بصريح الكتاب والسنة.

---

(١) سورة آل عمران/ ١٠٣.

(٢) متفق عليه.

فالمعنى القريب إذاً لهذا المصطلح هو يشمل جماعة المسلمين المتمسكين بالكتاب والسنة وما كان عليه سلف الأمة ولزوم جماعة المسلمين.

ومن هنا رأينا إطلاق العلماء بكلمة أهل السنة على أهل الإتباع وليس الابتداع، فهذا المصطلح يشكل الحد الفاصل بين المتبعين والمبتدعين. ولما ظهرت الفتنة كان رسول الله ﷺ السباق إلى التحذير منها بما أنزل إليه من ربه، فجاء الوحي بالتحذير من الفرقة والأمر بالجماعة.

١ - جاء في القرآن الكريم ما يدل على ذم من ابتدع في دين الله فمن ذلك قول الله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۗ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ﴾(١)، فهذه الآية من أعظم الشواهد. وقد جاء في الحديث تفسيرها فصح من حديث عائشة رضي الله عنها أنها قالت: «سَأَلْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَنْ قَوْلِهِ: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۗ﴾ قَالَ: فَإِذَا رَأَيْتِيهِمْ فَاعْرِفِيهِمْ»(٢).

وصح عنها قالت: تَلا رَسُولُ اللهِ ﷺ هَذِهِ الآيَةَ: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞۖ﴾ قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «فَإِذَا رَأَيْتِ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ فَأُولَئِكِ الَّذِينَ سَمَّى اللهُ فَاحْذَرُوهُمْ»(٣).

وقالت فيما صح عنها أنه قال: «فَإِذَا رَأَيْتُمْ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِيهِ فَهُمْ الَّذِينَ عَنَى اللهُ ﷻ فَاحْذَرُوهُمْ»(٤).

---

(١) سورة آل عمران/ ٧.

(٢) رواه الترمذي في كتاب تفسير القرآن عن رسول الله.

(٣) رواه البخاري في كتاب تفسير القرآن.

(٤) رواه الإمام أحمد في باقي مسند الأنصار.

جاء عن أبي غالب[١] واسمه حرور قال كنت بالشام فبعث المهلب سبعين رأساً من الخوارج فنصبوا على درج دمشق، فكنت على ظهر بيت لي فمرَّ أبو أمامة فنزلت فاتبعته فلما وقف عليهم دمعت عيناه وقال: «سبحان الله! ما يصنع السلطان ببني آدم، قالها ثلاثاً كلاب جهنم كلاب جهنم، شر قتلى تحت ظل السماء –ثلاث مرات– خير قتلى من قتلوه، طوبى لمن قتلهم أو قتلوه»، ثم التفت فقال: «أبا غالب إنك بأرض هم بها كثر فأعاذك الله منهم»، قلت: رأيتك بكيت حين رأيتهم؟ قال: بكيت رحمة حين رأيتهم كانوا من أهل الإسلام، هل تقرأ سورة آل عمران؟ قلت نعم، فقرأ ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ إلى أن بلغ: ﴿وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾. وأن هؤلاء في قلوبهم زيغ بهم ثم قرأ: ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخۡتَلَفُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُ﴾[٢]، إلى قوله: ﴿فَفِي رَحۡمَةِ ٱللَّهِ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾[٣].

قلت هم هؤلاء يا أبا أمامة؟ قال: نعم، قلت: قِبلك تقول أو شيء سمعت من النبي ﷺ؟ قال إني إذاً لجريء، بل سمعته من رسول الله ﷺ، لا مرة ولا مرتين، حتى عد سبعاً ثم قال: «إن بني إسرائيل تفرقوا على إحدى وسبعين فرقة وإن هذه الأمة تزيد عليها فرقة كلها في النار إلاّ السواد الأعظم»: قلت: يا أبا أمامة، ألا ترى ما فعلوا؟ قال: «عَلَيۡهِمۡ مَا حُمِّلُوا وَعَلَيۡكُمۡ مَا حُمِّلۡتُمۡ»[٤]، أخرجه إسماعيل القاضي وغيره[٥].

---

(١) أبو غالب صاحب أبي أمامة بصري اسمه حروز أو سعيد بن حروز أو نافع روى عن أبي أمامة وأنس وأم الدرداء. ينظر: تهذيب التهذيب، أحمد بن حجر العسقلاني (٨٥٢هـ)، دائرة المعارف النظامية بحيدر آباد الدكن، ١٣٢٦هـ ط ١: ١٢/ ١٩٧.

(٢) سورة آل عمران/ ١٠٥.

(٣) سورة آل عمران/ ١٠٧.

(٤) رواه مسلم في كتاب الإمارة.

(٥) الاعتصام، أبو إسحاق إبراهيم بن موسى الغرناطي الشاطبي، المكتبة التجارية الكبرى، ط ١: ٥٥؛ أخرجه الترمذي مختصراً وقال فيه حديث حسن وأخرجه الطحاوي باختلاف في بعض الألفاظ.

٢- وجاء عن النبي ﷺ من الترغيب في إحياء السنن فقد خرّج ابن وهب حديثاً عن النبي ﷺ أنه قال: «مَنْ أَحْيَا سُنَّةً مِنْ سُنَّتِي قَدْ أُمِيتَتْ بَعْدِي فَإِنَّ لَهُ مِنَ الأَجْرِ مِثْلَ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا وَمَنْ ابْتَدَعَ بِدْعَةَ ضَلالَةٍ لا تُرْضِي الله وَرَسُولَهُ كَانَ عَلَيْهِ مِثْلُ آثَام مَنْ عَمِلَ بِهَا لا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أَوْزَارِ النَّاسِ شَيْئًا»[١].

٣- ما روي عن السلف من التنبيه على ذلك: كما روي عن أبي الدرداء أنه قال: لو خرج رسول الله ﷺ عليكم ما عرف شيئاً مما كان عليه هو وأصحابه إلاّ الصلاة. قال الأوزاعي فكيف لو كان اليوم؟ قال عيسى بن يونس[٢] فكيف لو أدرك الأوزاعي هذا الزمان؟

وعن أم الدرداء قالت: دخل أبو الدرداء وهو غضبان، فقلت: ما أغضبك؟ فقال: والله ما أعرف فيهم شيئاً من أمر محمد إلاّ أنهم يصلون جميعاً.

وعن ميمون بن مهران[٣] قال: لو أن رجلاً أنشر فيكم من السلف ما عرف غير هذه القبلة. وعن سهل بن مالك عن أبيه قال: ما أعرف شيئاً مما أدركت عليه الناس إلاّ النداء بالصلاة[٤]. وقال أبو أمامة في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾[٥]، إنما نزلت في الخوارج. وأشار إلى ظهور البدعة المخالفة للكتاب والسنة. ومن هنا جاءت وصيته عليه الصلاة والسلام لأصحابه وأمته بلزوم الجماعة والتمسك بالكتاب والسنة.

عن حذيفة بن اليمان[٦] أنه قال: «يَا رَسُولَ الله إِنَّا كُنَّا فِي جَاهِلِيَّةٍ وَشَرٍّ فَجَاءَنَا الله بِهَذَا الْخَيْرِ فَهَلْ بَعْدَ هَذَا الْخَيْرِ مِنْ شَرٍّ؟ قَالَ: نَعَمْ. قُلْتُ: وَهَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الشَّرِّ مِنْ خَيْرٍ؟

---

(١) أخرجه الترمذي وقال حديث حسن باختلاف في بعض الألفاظ مع اتفاق المعنى.

(٢) عيسى بن يونس السبيعي الهمداني أبو عمرو محدث ثقة ولد بالكوفة (ت ١٨٧هـ-٨٠٣م). ينظر: الأعلام: ٥/ ١١١.

(٣) ميمون بن مهران الرقي أبو أيوب فقيه من القضاة كان مولى لامرأة بالكوفة وكان ثقة بالحديث كثير العبادة. ينظر: الأعلام: ٨/ ٣٠١.

(٤) الاعتصام: ٢٦.

(٥) سورة الأنعام/ ١٥٩.

(٦) حذيفة بن اليمان حسل بن جابر العبسي أبو عبد الله صحابي من الولاة الشجعان (ت ٣٦هـ-٦٥٦م). ينظر: الأعلام: ٢/ ١٨٠.

قَالَ: نَعَمْ وَفِيهِ دَخَنٌ. قُلْتُ: وَمَا دَخَنُهُ؟ قَالَ: قَوْمٌ يَهْدُونَ بِغَيْرِ هَدْيِي تَعْرِفُ مِنْهُمْ وَتُنْكِرُ. قُلْتُ: فَهَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الْخَيْرِ مِنْ شَرٍّ؟ قَالَ: نَعَمْ دُعَاةٌ عَلَى أَبْوَابِ جَهَنَّمَ مَنْ أَجَابَهُمْ إِلَيْهَا قَذَفُوهُ فِيهَا. قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ صِفْهُمْ لَنَا. قَالَ: هُمْ مِنْ جِلْدَتِنَا وَيَتَكَلَّمُونَ بِأَلْسِنَتِنَا. قُلْتُ: فَمَا تَأْمُرُنِي إِنْ أَدْرَكَنِي ذَلِكَ؟ قَالَ: تَلْزَمُ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ وَإِمَامَهُمْ. قُلْتُ: فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ جَمَاعَةٌ وَلا إِمَامٌ؟ قَالَ: فَاعْتَزِلْ تِلْكَ الْفِرَقَ كُلَّهَا وَلَوْ أَنْ تَعَضَّ بِأَصْلِ شَجَرَةٍ حَتَّى يُدْرِكَكَ الْمَوْتُ وَأَنْتَ عَلَى ذَلِكَ»[1].

وعن العرباض بن سارية[2] قال: «وَعَظَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ يَوْمًا بَعْدَ صَلاةِ الْغَدَاةِ مَوْعِظَةً بَلِيغَةً ذَرَفَتْ مِنْهَا الْعُيُونُ وَوَجِلَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ، فَقَالَ رَجُلٌ: إِنَّ هَذِهِ مَوْعِظَةُ مُوَدِّعٍ فَمَاذَا تَعْهَدُ إِلَيْنَا يَا رَسُولَ اللهِ؟ فَقَالَ: «أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللهِ وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ وَإِنْ عَبْدًا حَبَشِيًّا فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ بَعْدِي فَسَيَرَى اخْتِلافًا كَثِيرًا فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الْمَهْدِيِّينَ الرَّاشِدِينَ تَمَسَّكُوا بِهَا وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الأُمُورِ فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلالَةٌ»[3].

ومن هذا التحذير في كتاب الله وسنة رسوله وما ورد عن سلف الأمة من الصحابة والتابعين لهم بإحسان، يتبين لنا ما سبق من أن هذا المصطلح ينطبق على ما مرّ ذكره من دلالة الآيات والأحاديث النبوية وأقوال أئمة السلف رضي الله عنهم وأرضاهم، وبهذا حققنا المعنى القريب، ودلالة المصطلح المفهومية من خلاله لكي نصل إلى المعنى البعيد المترتب على فهم هذا المصطلح.

---

(١) الحديث في الصحيحين (البخاري ومسلم).

(٢) العرباض بن سارية السلمي يكنى أبا نجيح من أصحاب رسول الله ﷺ سكن الشام (ت ٧٥هـ). ينظر: أسد الغابة في معرفة الصحابة، أبو الحسن علي عز الدين بن الأثير الجزري (ت ٦٣٠هـ)، تحقيق محمد إبراهيم البنا، دار الشعب: ١٩/٤.

(٣) رواه الترمذي وصححه، وأبو داود والرواية له.

المعنى البعيد للمصطلح

وأقصد به المعنى الأدق والذي أخذ حيزاً كبيراً في تشكيل الفكر الإسلامي، حيث أخذ بعداً آخر، ينطلق من هذه المفاهيم التي ذكرناها في المعنى القريب، ولا يحيد عنها لكنه تطور وأخذ بعداً آخر، لم يكن في الصدر الأول.

تولدت من أعاصير الفرق، الفرقة التي تمايزت عن جميع الفرق ولم أكن أقصد في تولدت أنها خرجت من بين هذا الركام، وإنما أردت أن أقول تولد المصطلح المعبر، أو العنوان لجماعة المسلمين، وهم يواجهون الفتن والخروج عن الكتاب والسنة باسم الكتاب والسنة، وهنا يكمن الخطر.

لذا قام علماؤنا رحمهم الله من سلفنا الصالح بالمحافظة على أسس وقواعد الكتاب والسنة في الاعتقاد والسلوك، فأخذ جانب التحديد لهذه الأسس قبالة انتشار الفرق الضالة والمبتدعة والتي أخذت طريق الهوى لها سبيلا والتي حذر منها ربّ العزة سبحانه وتعالى في كتابه العزيز، ثم رسول الله ﷺ في سنته المطهرة.

فأول بدعة ظهرت هو الخروج عن الإمام فهم جماعة تنتسب إلى الإسلام لكنها خرجت على إمام المسلمين وفارقت الجماعة، وسوغت لنفسها، هذا الخروج عند التحكيم وسمو المحكّمة، وابتدعوا في الدين ما ليس منه وهم يدّعون العمل ضمن كتاب الله وسنة نبيه. وكفروا الأئمة وجعلوا صاحب الكبيرة كافراً خالداً في النار، وغيرها من الأحوال الباطلة، ثم ظهرت القدرية التي تقول لا قدر، تبنى هذه الأفكار الموالي، وقالوا بالاختيار للعبد وهو خالق لفعله وقالوا بخلق القرآن.

وظهرت الجبرية التي قالت ببدعة أن الإنسان مجبور على فعله ليسوغوا لأنفسهم الجريمة بكل أنواعها ويقولون ليس لنا من الأمر شيء والإنسان كريشة في مهب الريح وأخذوا من قوله تعالى: ﴿يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ﴾[1] وغيرها من الآيات دليلاً لهم وهذا يعطي مؤشراً عن الفهم السقيم لهذه الآيات الكريمة، والذين تبنوا هذا الفكر هم من الموالي.

(١) سورة النحل/ ٩٣.

ثم ظهرت المرجئة التي تقول ببدعة الإرجاء وأنه لا يضر الكبيرة مع الإيمان وأن الإنسان يُرجأ حسابه. وأرادوا بهذا أن يفعلوا ما يشاؤون دون رقيب من الله أو حسيب من أنفسهم.

ثم ظهرت الرافضة بكل فرقها التي سبت أصحاب النبي ﷺ ورمتهم بالردة وقالت بأحقية سيدنا علي بالإمامة وآل البيت وبعصمة الأئمة من آل البيت، بل ذهبوا إلى أبعد من ذلك حيث قالت بعض فرقهم بأن الله حل في الإمام علي وذريته والأئمة وفاطمة، وهذا الشطط بالتفكير هو سبب البلايا.

ولو علمنا أن هناك رجلين أحدهم قام بتأسيس الرفض وهو عبد الله بن سبأ كما مر علينا والآخر قام بتأسيس القول بالقدر وهو نصراني أسلم اسمه (سنسويه) أو سوسن[(١)].

وعند النظر في هذه الفرق نرى أن مؤسسيها كانوا من الموالي أو من الذين كانوا على دين اليهودية أو النصرانية، والذين بقيت في نفوسهم أوضار أديانهم السابقة أو بهم حقد على الإسلام وأهله، وانتصارات المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها. ومن هنا علمنا أن هذه الفرق وإن أظهرت الإسلام، فإنها دخيلة عليه. أريد من خلال ذلك حرب الإسلام وتفريق كلمة المسلمين.

ثم ظهر الاعتزال في البصرة على يد واصل بن عطاء وعمرو بن عبيد وكلاهما من الموالي فاعتزلوا مجلس ناصر السنة الإمام الحسن البصري ﵁، وكونوا جماعة كانت لها الصدارة في توريد الفكر الفلسفي على الإسلام.

وكان لهم فرق من أشهرها الواصلية وهم أصحاب واصل بن عطاء، والهذلية أصحاب هذيل العلاف، والجبائية أصحاب أبو علي الجبائي[(٢)].

---

(١) قال محمد بن شعيب بن شابور عن الأوزاعي أول من نطق بالقدر رجلٌ من أهل العراق يقال له (سوسن) كان نصرانياً فأسلم ثم تنصر فأخذ عنه معبد الجهني. ينظر: تهذيب التهذيب: ١٠/ ٢٢٦.

(٢) أبو علي الجبائي: محمد بن عبد الوهاب بن سلام الجبائي من أئمة المعتزلة، ورئيس علماء الكلام في عصره نسبت إليه الطائفة الجبائية (ت ٣٠٣هـ-٩١٦م). ينظر: الأعلام: ٧/ ١٣٦.

وكانوا يقولون بالعدل بأن العبد يخلق أفعاله رداً على الجبرية والتوحيد بنفي الصفات لأنها توهم التعدد والمنزلة بين منزلتين في مرتكب الكبيرة والوعد والوعيد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ووجوب الأصلح على الله في نظرية الأصلح. وغيرها من الأفكار. وقد كان لها الحظوة عند الحكام كما مرّ بنا. فنشروا مبادئهم بالقوة وباستعمال السلطان فكان سبب فشلهم وانتهاء أمرهم.

أضف إلى ذلك، ظهور كثير من الفرق الضالة والمضلة، على فترات متقطعة من زمان حكم الإسلام. ولقد شكلت هذه الأفكار المتباعدة فيما بينها، المتحدة في الهدف والغاية، شذوذاً في التفكير، وإعاقة لسير الإسلام الصحيح، وانتشاره في أصقاع الأرض المختلفة.

وكانت هذه الأفكار عقبة، كئود في طريق تقدم هذه الأمة. وأفرزت عقائد هدامة، أخذت تنخر في أساس الأمة، تفريقاً لكلمتها وتمزيقاً لوحدتها وصفها، وتشويهاً للعقيدة الصافية فيها.

من أجل هذا كان لأهل السنة والجماعة الدور الفاعل، في مكافحة هذه الأفكار الدخيلة على الأمة، وإقامة الدليل على بطلانها. فتشكل الفكر الإسلامي الصافي الآخذ من المنبع الصافي الكتاب والسنة المطهرة وأقوال السلف الصالح. فعصم الله بها العقول والأفكار من الخلط والوقوع في غبش الأفكار الضالة والعقائد المنحرفة. وحافظت هذه الفئة المؤمنة على تراثها الرباني والنبوي، وعلى صفاء عقيدتها. وتخليصها من انتحال المنتحلين، وأقوال الضالين المبتدعين، فهي الفرقة الناجية بكتاب الله وسنة رسوله.. فهي تمثل العقيدة الصافية، والفكر النظيف من كل دخيل وافد، وحملتها، هم حماة الإسلام والمدافعون عنه.

فابتدأت بوادرها من أصحاب النبي والتابعين لهم بإحسان وتابعيهم كالإمام الحسن البصري ومن معه ومالك بن أنس والشافعي وأبو حنيفة وأحمد بن حنبل والأوزاعي والليث بن سعد والسفيانيين، قاموا بالدفاع عن هذه العقيدة فنصروا السنة وخذلوا البدعة. ودعوا الناس إلى الاعتصام بكتاب الله وسنة رسوله، فكانوا أعلام

الهدى، نصبوا للإسلام راية الحق المبين، وبنوا فكرهم الأصيل وعقيدتهم المستمدة من مصدري التشريع (الكتاب والسنة). فكانوا بحق هم أهل السنة والجماعة، والناصرين لدين الله والذابين عنه.

حتى جاء من أبناء السنة من قام بالدفاع عن عقيدة التوحيد ووقف أمام البدع، وأصحابها الغالين، بالحجج العقلية والبراهين، فقاموا منافحين عن هذا الدين.

يقول صاحب المقدمة[1]: « وكان ذلك سبباً (أي ظهور أهل البدع) لانتهاض أهل السنة بالأدلة العقلية على هذه العقائد، دفعاً في صدور البدع وقام بذلك الشيخ أبو الحسن الأشعري إمام المتكلمين، فتوسط بين الطرق ونفى التشبيه وأثبت الصفات المعنوية، وقصر التنزيه على ما قصره السلف. وشهدت له الأدلة المخصصة لعمومه».

وقد قام هذا الإمام منادياً بعقيدة أهل السنة في جامع البصرة الكبير وهي قلب العالم الإسلامي والمركز الفكري والثقافي في ذلك اليوم.

وقامت في مصر دعوة الإمام الطحاوي أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلمة بن عبد الملك الأزدي الطحاوي (٣٢١هـ)، قام بالدعوة لعقيدة السلف وهي عقيدة أهل السنة والجماعة، وكان قد تفقه على مذهب أهل العراق.

وفي المشرق الإسلامي في سمرقند قام الإمام محمد بن محمد الماتريدي السمرقندي، كان فقيهاً حنفياً متكلماً على مذهب أهل السنة والجماعة وإليه تنسب الماتريدية. تناول الماتريدي علم الكلام بالتهذيب والتنقيح وترك الالتزامات التي يصب إقامة الدليل عليها. وقد خالف الأشعري في نحو أربعين مسألة، لكنه اتفق معه في أصول أهل السنة والجماعة، وكانت وفاته في (٣٣٣هـ).

قام هؤلاء الأعلام على إقامة البرهان والدليل العقلي لنصرة مذهب أهل السنة لأن أهل الحديث كانوا متمسكين بالنصوص (كتاب وسنة) ودفعهم لأهل الشبه بالنقل. فكانوا هم المحافظين على سنة رسول الله ﷺ كمالك بن أنس والشافعي وأحمد ابن حنبل وغيرهم من أئمة الدين.

---

(١) المقدمة، ابن خلدون: ٨٣٣.

يقول الشيخ الرباني عبد القادر الكيلاني[١] فصل «فاصل ثلاث وسبعين فرقة، فرقة عشرة أ- أهل السنة، ب- والخوارج، ج- الشيعة، د- المعتزلة، هـ-والمرجئة، و- المشبهة، ز- الجهمية، ح- الضرارية[٢]، ط- النجارية[٣]، ي- الكلابية[٤].

فالسنة طائفة واحدة، والخوارج خمسة عشرة فرقة والمعتزلة ست فرق، والمرجئة اثنتا عشر فرقة والشيعة اثنتان وثلاثون فرقة، والجهمية والنجارية والضرارية والكلابية كل واحدة فرقة واحدة والمشبهة ثلاث فرق، فجميع ذلك ثلاث وسبعون فرقة على ما أخبر به النبي ﷺ.

ثم قال: أما الفرقة الناجية فهي أهل السنة والجماعة وقد بيينا مذهبهم واعتقادهم[٥]. وقد أشار المحقق إلى قوله الفرقة الناجية إلى أهل الرأي والحديث.

والشيخ من الحنابلة ويمثل أهل الحديث من أتباع الإمام أحمد رحمه الله تعالى.

ومن هنا نلحظ التطور الذي حصل في مفهوم أهل السنة والجماعة حتى أصبح هذا المصطلح علم على جماعة معلومين، هم أهل الحق والداعين له، ولهم فكرهم المستقل المستقى من الكتاب والسنة.

أخذ هذا المصطلح طابعاً آخر غير الذي كان عليه، فهو ضم الأول إلى التالي، وخرج إلى الدنيا كمذهب له، علماؤه ومنظروه، وله أصوله وقواعده وله أتباعه ومعتنقوه. ولابد أن نشير إلى أهم العوامل التي نشأ بها علم الكلام وخصوصاً نشوء هذه الفرق:

---

(١) الغنية لطالبي طريق الحق ﷺ، الشيخ عبد القادر الكيلاني الحسيني (ت ٥٦١هـ)، تحقيق فرج توفيق الوليد، مكتبة الشرق الجديدة، بغداد: ١/ ٣٩٣ وما بعدها.

(٢) الضرارية: أصحاب ضرار بن عمر وحفص الفرد واتفاقهما على التعطيل إنهما قالا الباري تعالى عالم قادر على معنى أنه ليس بجاهل ولا عاجز. ينظر: الملل والنحل: ١١٤.

(٣) النجارية: أصحاب الحسين بن محمد النجار وأكثر معتزلة الري ومواليها على مذهبه. ينظر: الملل والنحل: ١١٢.

(٤) الكُلابية: منسوبة إلى عبد الله بن كُلاب وكان يقول صفات الله ليست بقديمة ولا محدثة وكان يقول صفاته هي هو ولا هي غيره. الغنية: ١/ ٤٥١.

(٥) الغنية لطالبي طريق الحق ﷺ.

نشأ علم الكلام من أحوال البيئة الإسلامية نفسها، فهو من هذه الناحية نتاج البيئة الإسلامية وحدها، ويبدو لنا أن هذه الأحوال الإسلامية كانت منبعثة من مصادر أربعة:

١ - الفضول العقلي: حث الله سبحانه وتعالى المسلمين في القرآن على التفكير وعلى جدال غير المسلمين بالتي هي أحسن، فانطلق نفرٌ من المسلمين يسألون عن كل شيء حتى عن الأشياء التي لم يكن لها - ولا لها اليوم -جوابٌ شافٍ، وفي القرآن الكريم آيات كثيرة تدل على نوع تلك الأسئلة التي كان العرب والمسلمون منذ صدر الدعوة في حياة الرسول يسألون عنها:

- يسألون عن الروح: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾[(١)].

- ونبه تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَسْـَٔلُوا۟ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾[(٢)].

- ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾[(٣)].

- ﴿وَمَآ أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى وَلَا بِكُمْ﴾[(٤)].

ولقد كان العرب الجاهليون أنفسهم يسألون رسول الله ﷺ أسئلة تمت إلى علم الكلام، جاء في تفسير الطبري أن نفراً من العرب المشركين ومن اليهود قالوا للرسول ﷺ من هذا الذي تدعو إليه؟ أياقوت هو أم ذهب أو ما هو؟ وقال آخرون أرأيتم ربكم؟ أذهب هو أم فضة أم لؤلؤ؟[(٥)].

(١) سورة الإسراء/ ٨٥.
(٢) سورة المائدة/ ١٠١.
(٣) سورة الإسراء/ ٣٦.
(٤) سورة الأحقاف/ ٩.
(٥) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، دار الفكر، ١٩٨٨: ١٣/ ٧٣-٤٤.

٢- التشدد في المبادئ: إن البشر متفاوتون في الأحوال الاجتماعية، فهم من أجل ذلك يتفاوتون نفسياً ثم يقفون من القضايا العامة عادة مواقف مختلفة فالخوارج الذين كانوا بدواً في الأكثر تشددوا كثيراً في أمور الدين واعتقدوا أن الإيمان (كل) لا يجوز التفريط في جانب منه، فمن ارتكب ذنباً كبيراً أو صغيراً بطل إيمانه فكان كافراً يجب قتله.

أما المرجئة فكانوا أنصار بني أمية في الشام في الأكثر، وكان هؤلاء يعلمون أن بني أمية أخذوا الخلافة غصباً أو بالقوة ثم خرجوا على المنهج الذي سار عليه الخلفاء الراشدون، ولكن لم يستطيعوا أن يقاوموا الدولة، أو أن يخالفوها محافظة على مصالحهم على الأقل. فاعتقدوا أن الأصل في الدين هو الإيمان وأن كل ذنب مهما عظم لا يمكن أن يخرج أحداً من الدين غير أنهم أقروا بأن المذنب يعاقب ولكن لا نعاقبه نحن الآن ولا ندينه، بل نرجئه ونمهله أو نؤخره إلى الله يحاسبه يوم القيامة بما يستحق ومن هنا سموا مرجئة.

أما المعتزلة فهم أهل البصرة في الغالب وأهل الكوفة وبغداد من أئمة الفقه واللغة والنحو والمنطق، فقد قلبوا الأمر من وجوهه والتمسوا الأعذار للناس وفصلوا الأدلة، فقالوا بالمنزلة بين المنزلتين إذا ارتكب المسلم صغيرة لا تخرجه عن الإيمان ،إذا ارتكب كبيرة ينقص إيمانه، ولكن لا يخرجه من الإيمان.

٣- التفكير السياسي: كان التفكير السياسي منذ وفاة النبي ﷺ (١١هـ) من العوامل التي أدت إلى نشأة علم الكلام لما توفي الرسول اختلف الناس في من يجب أن يتولى الخلافة؟ أتكون بالانتخاب أو بالوراثة أو بالتعيين؟

فجاء أبو بكر بالانتخاب وجاء عمر بالتعيين أما عثمان بن عفان فجاء بالشورى، أما علي فجاء بإجماع قادة الوفود، أما معاوية فأخذها بالسيف، ثم أصبحت الخلافة وراثية، غير أن المسلمين اختلفوا نظرياً على منصب الخلافة.

قال أهل السنة من المهاجرين والأنصار: إن الخلافة منصب دنيوي ولكن لابد منها لإقامة الدين والدنيا، والخليفة ينتخب، فمن أجمع عليه أهل الحل والعقد وجبت على المسلمين طاعته.

وقال الخوارج: الخلافة منصب دنيوي غايته إقامة الأحكام، فإذا اتفق المسلمون على نصب الخليفة لم يكن هناك حاجة إلى تنصيبه.

أما الشيعة فقالوا: الإمامة منصب ديني وتكون بالنص والتعيين في علي وأبنائه من فاطمة بنت محمد ﷺ.

وتشعبت فيما بعد واختلطت الآراء الدينية والسياسية، ونمت حتى أصبح للخلافة نظريات متعددة.

٤- إقناع غير العرب: لا ريب في أن العربي قد بُهر بإعجاز القرآن الكريم وبلاغته وأدرك أسرارهما فقام له ذلك في كثير من الأحيان مقام الإقناع ثم أن الفطرة العربية الأولى لم تكن بعيدة عمّا جاء به القرآن من التوحيد.

أما بشأن غير العرب الذين دخلوا في الإسلام، أو جادلوا المسلمين، من غير أن يكونوا قد دخلوا في الإسلام، فكان مختلفاً جداً، ولقد رأينا من جدال اليهود والنصارى للمسلمين منذ أيام الرسول ﷺ، ويبدو أن هذا الجدال كان يقود إلى التنازع والتساب، فخاطب الله تعالى المسلمين في القرآن الكريم:

﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ ۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَٰحِدٌ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾[1].

وفي سورة الأنعام إشارة إلى جدال عنيف بين المسلمين والمشركين حول التوحيد والشرك، قبل أن يأمر الله رسوله بقتال مشركي العرب حتى يدخلوا في الإسلام:

﴿ٱتَّبِعْ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٦﴾ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكُواْ ۗ وَمَا جَعَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴿١٠٧﴾ وَلَا تَسُبُّواْ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّواْ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾[2].

---

(١) سورة العنكبوت/ ٤٦.

(٢) سورة الأنعام/ ١٠٦-١٠٨.

وبعد الفتح الإسلامي، بعد وفاة الرسول ﷺ بنحو عامين، وفي مدى عشرة أعوام من سنة ١٤-٢٤هـ، كان العرب قد فتحوا العراق والشام وفارس ومصر، ثم دخل في الإسلام أفواجٌ من اليهود والنصارى والمجوس من فرقٍ مختلفة ومذاهب شتى، وإذا كان هؤلاء قد غيروا دينهم في ساعة من ليل أو نهار، فلم يكن من المنتظر أن تتبدل عقليتهم بمثل هذه السرعة.

إن الذي كان يعتقد أن في العالم إلهين اثنين أو ثلاثة أو آلهة بعدد مظاهر الطبيعة، أو لا يؤمن بإله ولا ببعث، أو كان يعيش في نظام اجتماعي غير الذي جاء به الإسلام، لم يكن مستغرباً منه أن يسأل علماء المسلمين أسئلة تساور نفسه، وقد كان السائل دوماً أحد رجلين:

- إما رجل يطلب جواباً يطمئن به قلبه.
- وإما رجل يريد أن يجادل لإدخال البلبلة في القلوب المطمئنة[١].

ومن هذين السؤالين نشأ علم الكلام ونشأت الفرق.

ولمّا درسنا هذه العوامل في ظهور علم الكلام، ومن خلال هذه الفترة الزمنية ظهور الفرق الكلامية، التي جعلت كل واحدة منها لنفسها راية، ومشت على آثار مؤسسها فكراً وعقيدة.

وأخذت في مجالاتها أبعاداً كثيرةً، سواء كانت عَقَدية أو سياسية أو اجتماعية أو نفسية.

فإن الأغراض قد تتحقق وقد لا تتحقق وقد تظهر وقد تنضوي، وهكذا، لكن طريق الحق واضح، كما أوضحه الوحي الإلهي، صادق أبلج كفلق الصبح لا يحيد عنه ولا يزيغ إلاّ كافر هالك.

وأما أهل السنة والجماعة فهم سفينة النجاة للغارقين في بحار الأوهام، للتائهين في بيداء الضلال، للحائرين في دهماء الفكر وتيهان العقل. وهي سارية الحق الذي يعتصم بها المسلمون عند هيجان الفتن، وطمسان معالم النور. وهي منار الهدى لأهل الهدى إذا عمت الفوضى، واختلط على الناس أمرهم، وكانوا في دياجير الظلمة لا يبصرون الحقيقة.

ومن هنا أدركنا أهمية هذا المصطلح بمفهومه ومدلولاته ومعانيه.

---

(١) تاريخ الفكر العربي: ٢٠٦-٢٠٨.

الفصل الثالث

أهل السنة والجماعة

(الدلالة والمضمون)

الدلالة والمضمون في هذا الفصل تدوران حول من هم أهل السنة والجماعة؟ وتحديد هوية هذا المصطلح تنطبق على من؟ ومن هم حملته؟ ومن هم مؤسسوه؟ ومن الذين ينتمون إليه أو أفراده إن صح التعبير؟ هذا ما يتناوله المبحث الأول. ويليه في درجة البحثية، فكر أهل السنة والجماعة وما يحمل من أسس وقواعد وأصول، تميزه عن الآخرين، وتبين من خلاله صواب الآخر أو خطأه، وهو مدخل صعب المراس إلاّ من فتح الله عليه فهو سهل الالتماس.

ثم نخلص إلى بيان قول الجمهور في تحديد، من هم أهل السنة والجماعة ومن الذين ينطبق عليهم هذا المصطلح. ورأي جماهير المسلمين مطلوب، في مثل هذه الموضوعات المهمة والحساسة حتى نصل إلى درجة اليقين أو الظن الراجح.

ويحتاج منا إلى تقصي هذه المعلومات من مضانها وترتيبها بالشكل الذي يوصلنا إلى فهم هذا العنوان، من خلال مفرداته المنبثة في الكتب التي تبحث في هذا الشأن، من كتب العقائد والفرق والملل والنحل والكتب التي تبحث في مضامين الفكر الإسلامي والعربي.

اللهم اهدنا سبلنا ووفقنا لقول الحق وبيان فريق الحق وأن نكون مع الحق إن شاء الله تعالى.

المبحث الأول من هم أهل السنة والجماعة؟

يرى الباحث في هذا الشأن اختلافاً ملحوظاً بين أهل العلم حول تحديد من هم أهل السنة والجماعة، وهذا الاختلاف ناشئ عن التفاوت في الإطلاع على هذه الجماعة، أو يدفع أحياناً دافع تعصبي لإدخال هذه الفئة أو تلك، أو دوافع ذاتية تدفع إلى التصور بأن الفئات الأخرى خارجة عن هذه الجماعة، وهذا ما يجعل موضوعنا هذا فيه نوعٌ من الصعوبة، ولكن لدى الاطلاع على المصادر والمراجع وتفحص أقوال أهل العلم ممن يتمتع بالروح العالية الخالية من التعصب، ويتعامل مع الأمر بنوعٍ من الواقعية، ويأخذ بدراسته دراسة علمية مجردة يجد أن الاختلاف يكمن في التعابير والألفاظ وليس هناك ما يستدعي الخلاف الواسع.

إن رسول الله ﷺ وضع نقطة الالتقاء في إطلاق هذه التسمية على هذه الجماعة أو تلك وهي من جوامع الكلم، عندما سئل عليه الصلاة والسلام: فما المخرج منها يا رسول الله؟ قال: «فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الأُمُورِ فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ وَإِنَّ كُلَّ بِدْعَةٍ ضَلالَةٌ»(١).

وهذا القول النبوي يحل لنا كل الإشكال، بنسبة الناس إلى أهل السنة والجماعة، فالتمسك بالكتاب والسنة وجماعة المسلمين هي المحددة لمعالم هذه الجماعة، فكل فرقة تعرض آراءها على هذه المحددات لتخرج بنتيجة الانتماء إلى الجامعة المستعصمة بكتاب الله وسنة رسوله.

قد يدعي أو تدعي فرقة من الفرق أنها على الكتاب والسنة أو هي تمثل جماعة المسلمين، لكنه إدعاء يحتاج إلى برهان، وبرهان الانتساب إلى هذه الجماعة – جماعة المسلمين– لها معايير ومحددات تكشف من هي الفرقة التي ينطبق عليها هذا التعبير، وهي المُميزة لهذه الجماعة عن تلك.

فهذه الجماعة تقف أمام الابتداع في دين الله تعالى، فكل بدعة خارجة عن الدين تخرج عن السنة والجماعة، على التفريق بين معناها اللغوي ومعناها الشرعي.

---

(١) رواه الترمذي وابن ماجه والإمام أحمد في مسند الشاميين.

من هم أهل السنة والجماعة عند عبد القاهر البغدادي(١)

يحاول تقسيمهم إلى أصناف ثمانية، يحدد من خلالها أهل السنة والجماعة، فيقول:

اعلموا أسعدكم الله أن أهل السنة والجماعة ثمانية أصناف من الناس:

١- الصنف الأول: أحاطوا علماً بأبواب التوحيد والنبوة، وأحكام الوعد والوعيد، والثواب والعقاب، وشروط الاجتهاد، والإمامة، والزعامة، وسلكوا في هذا النوع من العلم طرق الصفاتية(٢) من المتكلمين الذين تبرّؤوا من التشبيه والتعطيل ومن بدع الرافضة والخوارج والجهمية والنجارية وسائر أهل الأهواء الضالة.

٢- الصنف الثاني: منهم أئمة الفقه من فريقي الرأي والحديث من الذين اعتقدوا في أصول الدين مذاهب الصفاتية في الله وفي صفاته الأزلية وتبرّؤوا من القدر، والاعتزال وأثبتوا رؤية الله تعالى بالأبصار من غير تشبيه ولا تعطيل وأثبتوا الحشر من القبور مع إثبات السؤال في القبر ومع إثبات الحوض والصراط والشفاعة وغفران الذنوب التي دون الشرك. وقالوا بدوام نعيم الجنة على أهلها أو دوام عذاب النار على الكفرة، وقالوا بإطاعة أبي بكر وعمر وعثمان وعلي ﷺ وأحسنوا الثناء على السلف الصالح من الأمة، ورأوا وجوب الجمعة خلف الأئمة، الذين تبرّؤوا من أهل الأهواء الضالة، ورأوا وجوب استنباط أحكام الشريعة من القرآن والسنة ومن إجماع الصحابة، ورأوا جواز المسح على الخفين ووقوع الطلاق الثلاث، ورأوا تحريم المتعة، ورأوا وجوب طاعة السلطان فيما ليس بمعصية.

ويدخل في هذه الجماعة مالك والشافعي والأوزاعي والثوري وأبو حنيفة وابن أبي ليلى، وأصحاب أبي ثور، وأصحاب أحمد بن حنبل، وأهل الظاهر وسائر الفقهاء الذين اعتقدوا في الأبواب العقلية أصول الصفاتية ولم يخلطوا فقههم بشيء من بدع أهل الأهواء الضالة.

---

(١) الفرق بين الفرق: ٤٨٩.

(٢) الصفاتية: وهم: السلف الذين يثبتون الصفات خلافاً للمعتزلة الذين ينفون الصفات، الملل والنحل: ١/ ١١٦، هامش الكتاب. وقد انتقلت سمة الصفاتية إلى الأشعرية، الملل والنحل: ١/ ١١٩.

٣- الصنف الثالث: فهم الذين أحاطوا علماً بطرق الإخبار والسنن المأثورة عن النبي ﷺ وميزوا بين الصحيح والسقيم منها وعرفوا أسباب الجرح والتعديل ولم يخلطوا علمهم بذلك من بدع أهل الأهواء الضالة.

٤- الصنف الرابع: قوم أحاطوا علماً بأكثر أبواب الأدب والنحو والتصريف وجروا على سمت أهل اللغة، كالخليل بن أحمد[١]، وأبي عمرو بن العلاء[٢]، وسيبويه[٣]، والفراء[٤]، والأخفش[٥]، والأصمعي[٦]، والمازني[٧]، وأبي عبيدة[٨] وسائر أئمة أهل النحو من الكوفيين والبصريين الذين لم يخلطوا علمهم بذلك شيء من البدع القدرية أو الرافضة أو الخوارج. ومن قال منهم إلى شيء من الأهواء الضالة ولم يكن من أهل السنة ولا كان قوله حجة في اللغة والنحو.

٥- الصنف الخامس: هم الذين أحاطوا علماً بوجوه القراءات وبوجوه تفسير آيات القرآن وتأويلها على وفق مذاهب أهل السنة والجماعة دون تأويلات أهل الأهواء الضالة.

---

(١) هو إمام النحاة وشيخ إمامهم أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد، الفراهيدي الأزدي البصري، صاحب العربية والعروض، صنف كتاب العين في اللغة، وعليه تخريج سيبويه. توفي في أرجح الأقوال سنة (١٧٥هـ)، ويقال قبلها، ويقال بعدها، ينظر: العبر: ١/ ٢٦٨.

(٢) هو مقرئ البصرة الإمام أبو عمرو بن العلاء، المازني أحد القراء السبعة، قال عنه أبو عبيدة: كان أبو عمرو أعلم الناس بالقرآن والعربية والشعر وأيام العرب، مات سنة (١٥٤هـ). ينظر: العبر: ١/ ٢٢٣؛ شذرات الذهب: ١/ ٢٣٧.

(٣) هو إمام أهل البصرة في العربية، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، مصنف (الكتاب) الذي يعد مفخرة التأليف في العربية، كانت وفاته على الصحيح سنة (١٨٠هـ) عاش بضع وثلاثين سنة. ينظر: العبر: ١/ ٢٧٨.

(٤) هو يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور، الأسلمي المعروف بالفراء (أبو زكريا)، ولد في الكوفة سنة (١٤٤هـ) وتوفي في طريق مكة سنة (٢٠٧هـ). ينظر: وفيات الأعيان: ٢/ ٣٠١-٣٠٤؛ الفهرست: ١/ ٦٦.

(٥) هو أبو الحسن سعيد بن مسعدة المجاشعي، أخذ عن سيبويه وصحب الخليل قبل أن يصحب سيبويه، وقرأ على الكسائي في كتاب سيبويه، توفي سنة (٢١٥هـ). ينظر: طبقات الزبيدي: ٧٤.

(٦) هو عبد الملك بن قريب والكلام فيه طويل توفي سنة (٢١٦هـ). ينظر: الأعلام: ٤/ ٣٠٧.

(٧) هو بكر بن محمد بن حبيب أبو عثمان المازني، أحد أئمة النحو من أهل البصرة (ت ٢٤٩هـ-٨٦٣م). ينظر: الأعلام: ٢/ ٤٤.

(٨) هو معمر بن المثنى توفي سنة (٢٠٩هـ). ينظر الأعلام: ٨/ ١٩١.

٦- الصنف السادس: منهم: الزهاد الصوفية الذين أبصروا فأقصروا، واختبروا فاعتبروا، ورضوا بالمقدور، وقنعوا بالميسور، وعلموا أن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤول عن الخير والشر ومحاسب على مثاقيل الذرى، فأعدوا خير الإعداد ليوم المعاد، وجرى كلامهم في طريقي العبارة والإشارة على سمت أهل الحديث دون من يشتري لهو الحديث، لا يعملون الخير رياءً، ولا يتركونه حياءً، ويفهم التوحيد، ونفي الشبيه، ومذهبهم التفويض إلى الله تعالى، والتوكل عليه، والتسليم لأمره، والقناعة بما رزقوا والإعراض عن الاعتراض.

﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾(١).

٧- الصنف السابع: فهم: قوم مرابطون في ثغور المسلمين في وجوه الكفرة يجاهدون في ثغورهم أعداء المسلمين ويحمون حمى المسلمين ويذبون عن حريمهم وديارهم ويظهرون في ثغور مذاهب أهل السنة والجماعة، وهم الذين أنزل الله فيهم: ﴿وَٱلَّذِينَ جَـٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾(٢)، زادهم الله توفيقاً بفضله ومنِّه.

٨- الصنف الثامن: منهم عامة البلدان التي غلب فيها شعائر أهل السنة دون عامة أهل البقاع التي ظهر فيها شعار أهل الأهواء الضالة، وإنما أردنا بهذا الصنف من العامة، عامة اعتقدوا بصواب علماء السنة والجماعة في أبواب العدل، والتوحيد، والوعد والوعيد، ورجعوا إليهم في معالم دينهم وقلدوهم في فروع الحلال والحرام ولم يعتقدوا شيئاً من بدع أهل الأهواء الضالة وهؤلاء هم الذين سمتهم الصوفية، حشو الجنة.

فهؤلاء أصناف أهل السنة والجماعة وجموعهم، أصحاب الدين القويم والصراط المستقيم، ثبتهم الله بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة إنه بالإجابة جدير وعليها قدير.

بالاستقراء استعرض رحمه الله أصناف أهل السنة والجماعة.

---

(١) سورة الحديد/ ٢١؛ سورة الجمعة/ ٤.

(٢) سورة العنكبوت/ ٦٩.

من هم أهل السنة عند أبي المظفر الإسفرائيني

ينطبق قوله مع قول عبد القاهر البغدادي في تحديد أهل السنة والجماعة.

قال: واعلم أن جميع ما ذكرناه من اعتقاد أهل السنة والجماعة فلا خلاف في شيء منه بين الشافعي وأبي حنيفة رحمهما الله وجميع أهل الرأي والحديث مثل مالك والأوزاعي وداود والزهري والليث بن سعد وأحمد بن حنبل وسفيان الثوري وسفيان ابن عيينة ويحيى بن معين وإسحاق بن راهويه، ومحمد بن إسحاق الحنظلي، ومحمد بن أسلم الطوسي، ويحيى بن يحيى، والحسين بن الفضل البجلي، وأبي يوسف ومحمد وزفر وأبي ثور، وغيرهم من أئمة الحجاز والشام والعراق وأئمة خراسان وما وراء النهر ومن تقدمهم من الصحابة والتابعين وأتباع التابعين. ومن أراد أن يتحقق أن لا خلاف بين الفريقين في هذه الجملة فلينظر فيما صنفه أبو حنيفة رحمه الله في الكلام في كتاب (العلم) وفيه الحجج القاهرة على أهل الإلحاد والبدعة، وقد تكلم في شرح اعتقاد المتكلمين وقرر أحسن طريقة في الرد على المخالفين هو كتاب (الفقه الأكبر) الذي أخبرنا به الثقة بطريق معتمد وإسناد صحيح عن نصير بن يحيى عن أبي مطيع عن أبي حنيفة، وما جمعه أبو حنيفة في الوصية التي كتبها إلى أبي عمرو عثمان البتي[١] وردّ فيها على المبتدعين.

ولينظر فيما صنفه الشافعي في مصنفاته فلم يجد بين مذهبيهما تبايناً بحال، وكل ما حكي عنهم خلاف ما ذكرناه من مذاهبهم فإنما هو كذب يرتكبه مبتدع ترويجاً لبدعته، ومن لا يبالي أن يتدين بما لا يبالي أن يتدين بما لا حقيقة له في دينه لا يبالي نسبة الخرافات إلى أئمة الدين لأن من كذب على رسول الله ﷺ لا يبالي أن يكذب على أئمة المسلمين. وقد نبغ من أحداث أهل الرأي من تلبس بشيء من مقالات القدرية والروافض مقلداً فيها، وإذا خاف سيوف أهل السنة نسب ما هو فيه من عقائده الخبيثة إلى أبي حنيفة تستراً به، فلا يغرنك ما ادعوه من نسبتها إليه فإن أبا حنيفة بريء منهم ومما نسبوه إليه، والله يعصم أهل السنة والجماعة من جميع ما ينسبه إليهم أهل الغواية والضلالة وبالله التوفيق[٢].

---

(١) أبو عمرو عثمان البتي، فقيه البصرة اسم أبيه مسلم. ينظر سير أعلام النبلاء: ٦/ ٣٦٤.

(٢) التبصير في الدين: ١٨٤.

لاح لنا هنا إشارة إلى توهم الخلاف بين الإمامين الجليلين ثم خرجه مخرج السلامة وناح باللائمة على المتطفلين والكاذبين عليه رضي الله عنه وأرضاه، أقصد أبا حنيفة النعمان رحمه الله تعالى. يتبين لنا من خلال هذا الطرح اتفاق الإمامين الجليلين عبد القاهر وأبو مظفر الاسفرائيتي.

أقوال الشهرستاني صاحب الملل والنحل في تحديد أهل السنة

يقول: «حتى جرى بين أبي الحسن الأشعري وبين أستاذه مناظرة في مسألة من مسائل الصلاح والأصلح فتخاصما وانحاز الأشعري إلى هذه الطائفة فأيد مقالتهم بمناهج كلامية وصار ذلك مذهباً لأهل السنة والجماعة وانتقلت سمة الصفاتية إلى الأشعرية».

وذكر هذا بعد أن قال: أما السلف الذين لم يتعرضوا للتأويل ولا تهدفوا التشبيه فمنهم مالك بن أنس ﷺ إذ قال: «الاستواء معلوم والكيفية مجهولة والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة، ومثل أحمد بن حنبل وسفيان وداود الأصفهاني ومن تابعهم، حتى انتهى الزمان إلى عبد الله بن سعيد الكلابي، وأبي العباس القلانسي والحارث بن أسد المحاسبي، وهؤلاء كانوا من جملة السلف إلاّ أنهم باشروا علم الكلام وأيدوا عقائد السلف بحجج كلامية وبراهين أصولية وصنف بعضهم ودرس بعض»[(١)].

قال ابن خلدون في المقدمة

بعد أن قدم جملة آراء النفاة للصفات والمشبهة والمجسمة قال: وكان ذلك سبباً لانتهاض أهل السنة بالأدلة العقلية على هذه العقائد، دفعاً في صدور هذه البدع، وقام بذلك الشيخ أبو الحسن الأشعري، إمام المتكلمين فتوسط بين الطرق، ونفى التشبيه وأثبت الصفات المعنوية وقصر التشبيه على ما قصره عليه السلف[(٢)].

---

(١) الملل والنحل: ١/ ١١٨-١١٩.

(٢) المقدمة: ٨٣٣.

قال الزبيدي في إتحاف السادة المتقين

إذا أطلق أهل السنة والجماعة فالمراد بهم الأشاعرة والماتريدية.

قال الخيالي في حاشيته على شرح العقائد[١]: الأشاعرة هم أهل السنة والجماعة، هذا هو المشهور في ديار خراسان والعراق والشام وأكثر الأقطار. وفي ديار ما وراء النهر يطلق ذلك على الماتريدية وهم أصحاب الإمام أبي منصور، وبين الطائفتين اختلاف في بعض المسائل كمسألة التكون وغيرها.

وقال الكستلي[٢] في حاشيته عليه: المشهور من أهل السنة في ديار خراسان والعراق وأكثر الأقطار هم الأشاعرة أصحاب أبي الحسن الأشعري، أول من خالف أبا علي الجبائي، ورجع عن مذهبه إلى السنة أي طريق النبي ﷺ والجماعة أي طريق الصحابة ﷺ، وفي ديار ما وراء النهر الماتريدية أصحاب أبي منصور الماتريدي تلميذ أبي نصر العياض تلميذ أبي بكر الجوزجاني صاحب أبي سليمان الجوزجاني صاحب محمد ابن الحسن، صاحب الإمام أبي حنيفة، وبين الطائفتين اختلاف في بعض الأصول كمسألة التكوين، ومسألة الاستثناء في الإيمان، ومسألة إيمان المقلد والمحققون من الفريقين لا يُنسب أحدهما الآخر إلى البدعة والضلالة[٣].

قال ابن السبكي في شرح عقيدة ابن الحاجب

اعلم أن أهل السنة والجماعة كلهم قد اتفقوا على معتقد واحد فيما يجب ويجوز ويستحيل، وإن اختلفوا في الطرق والمبادئ الموصلة لذلك، وبالجملة فهم ثلاث طوائف:

---

(١) حاشية الخيالي على شرح العقائد للسعد التفتازاني، دار سعادت، صلب الكتاب: ٢١

(٢) حاشية الكستلي على شرح العقائد للسعد التفتازاني، دار سعادت، ١٣٢٦هـ، الهامش: ١٧.

(٣) إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين، العلامة السيد محمد بن محمد الحسيني الزبيدي، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م: ٢/ ٨-٩.

الأولى: أهل الحديث ومعتمد مبادئهم الدلالة السمعية أعني الكتاب والسنة والإجماع.

الثانية: أهل النظر العقلي والصناعة الفكرية وهم الأشعرية، والحنفية. وشيخ الأشعرية أبو الحسن الأشعري، وشيخ الحنفية أبو منصور الماتريدي، وهم متفقون في المبادئ العقلية في كل مطلب يتوقف السمع عليه، وفي المبادئ السمعية فيما يدرك العقل جوازه فقط والسمعية في غيرها، واتفقوا في جميع المطالب الاعتقادية، إلاّ في مسألة التكوين ومسألة التقليد.

الثالثة: أهل الوجدان والكشف، وهم الصوفية ومبادئهم مبادئ أهل النظر والحديث في البداية والكشف والإلهام في النهاية. أ. هـ[(١)].

وعلق الزبيدي على هذا القول: وليعلم أن كلاً من الإمامين أبي الحسن وأبي منصور رضي الله عنهما وجزاهما عن الإسلام خيراً لم يبدعا من عندهما رأياً ولم يشتقا مذهباً إنما هما مقرران لمذهب السلف مناضلان عمّا كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ[(٢)].

قول البيهقي رحمه الله تعالى في أهل السنة[(٣)]

قال فيما نقله صاحب التبيين ابن عساكر وصاحب الطبقات الإمام السبكي نقلاً عنه:

ثم أخذ البيهقي في ذكر ترجمة الشيخ وذكر نسبه ثم قال:

إلى أن بلغت النوبة إلى شيخنا أبي الحسن الأشعري رحمه الله تعالى فلم يحدث في دين الله حدثاً، ولم يأتِ ببدعة، بل أخذ أقاويل الصحابة والتابعين، ومن بعدهم من الأئمة في أصول الدين، فنصرها بزيادة شرح وتبيين، وإن ما قالوا وجاء به الشرع في

---

(١) شرح عقيدة ابن الحاجب، الإمام السبكي نقلاً عن إتحاف السادة المتقين: ٤/ ٩.

(٢) إتحاف السادة المتقين: ٢/ ٩.

(٣) تبيين كذب المفتري: ١٠٠ وما بعدها؛ ينظر: طبقات الشافعية الكبرى، عبد الوهاب بن علي السُبكي (ت ٧٧١هـ)، تحقيق محمود محمد الطناحي وعبد الفتاح محمد الحلو، مطبعة عيسى البابي الحلبي، ط ١، ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٥م: ٣/ ٣٩٧.

الأصول صحيح في العقول، بخلاف ما زعم أهل الأهواء، من أن بعضه لا يستقيم في الآراء، فكان في بيانه وثبوته، ما لم يدل عليه أهل السنة والجماعة، ونصرة أقاويل من مضى من الأئمة، كأبي حنيفة، وسفيان الثوري من أهل الكوفة، والأوزاعي وغيره من أهل الشام، ومالك والشافعي من أهل الحرمين، ومن نحا نحوها من أهل الحجاز وغيرها من سائر البلاد، وكأحمد بن حنبل وغيره من أهل الحديث، والليث بن سعد وغيره. وأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري وأبي الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري، إمامي أهل الآثار وحفاظ السنن التي عليها مدار الشرع إلى أن قال:

وصار رأساً في العلم، من أهل السنة، في قديم الدهر وحديثه، وبذلك وعد سيدنا المصطفى ﷺ أمته، أنه قال: «إِنَّ الله يَبْعَثُ لِهَذِهِ الأُمَّةِ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِائَةِ سَنَةٍ مَنْ يُجَدِّدُ لَهَا دِينَهَا»[1].

لدى اطلاعي على هذه المراجع وما قالوه توصلت إلى الخلاصة التالية:

١ - أن أهل السنة والجماعة يمثلون ما عليه الصحابة والتابعين وتابعيهم بإحسان متمثلين قول رسول الله ﷺ: «عليكم بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ» معتصمين بالكتاب والسنة وإجماع الصحابة، فكل من كان كذلك وهو بعيد عن أهل الأهواء الضالة والبدع فهو من أهل السنة والجماعة وهم السواد الأعظم. كما ذكر ذلك أبو أمامة ﷺ وأكده علماؤنا الأعلام الذين استقصينا أقوالهم.

٢ - أهل الحديث من أصحاب مالك والشافعي وأبو حنيفة وأحمد بن حنبل ومن هم على طريقهم وهم المتوقفون عن الخوض في الصفات الواردة بالكتاب العزيز والسنة المطهرة ومثبتون للصفات بدون تكييف على طريقة التفويض أي أمر معناه يرجع إلى الله تعالى دون تشبيه أو تعطيل. وعلى آثارهم الظاهرية وشيخهم داود الأصبهاني حذا حذوهم وأخذ منهم فهؤلاء هم أهل السنة والجماعة، بل هم قدوة الأنام في الاعتصام بكتاب الله وسنة رسوله.

---

(١) رواه أبو داود في سننه في كتاب الملاحم.

٣- المتكلمون من أهل السنة والجماعة كما ورد في المصادر والمراجع الآنفة الذكر وهم كما وصفهم وسماهم الإمام عبد القاهر البغدادي وأبو المظفر الإسفرائيني، الصفاتية كما ذكرهم الإمام الشهرستاني في الملل والنحل. وهم أصحاب الإمام أبي الحسن الأشعري وهم أثبتوا الصفات بعد أن نفاها النفاة كالمعتزلة وغيرها. والسالكين طريق المتكلمين كما ورد في إتحاف السادة المتقين وطبقات الشافعية والتبيين، هم الذين أثبتوا الصفات وساروا على منهج السلف الصالح من الصحابة والتابعين وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين. والمتتبع لهذه الآراء المبثوثة في هذه المراجع، يجد أن أهل السنة والجماعة ينطبق كذلك على علماء ما وراء النهر كالإمام أبو منصور الماتريدي شيخ الماتريدية وإمام أهل السنة في بلاد ما وراء النهر، نحى منحاة الإمام الأشعري مع وجود الاختلاف في إثبات صفة التكوين وغيرها من الأمور.

ومما سبق تبين لنا الإجابة على التساؤل من هم أهل السنة والجماعة؟

المبحث الثاني

فكر أهل السنة والجماعة

يتضمن فكرهم أمرين:

أولاً: إثبات العقيدة الصحيحة من أصولها وقواعدها ولذلك اهتم علماؤهم بهذا الأمر في تحديد الأصول والقواعد التي بني عليها فكرهم.

ثانياً: تأثيرهم في محيطهم ومجتمعاتهم وتراثهم الفكري وآثارهم العلمية التي خلفوها ومدى استجابة الناس لهم وهم يمثلون السواد الأعظم من الأمة.

١- أصولهم وقواعدهم

إن جميع المؤلفات التي تركوها في علم العقائد والفروع الفقهية وغيرها كان مبتناها على الأصول والقواعد التي ترجمها رجال أهل السنة من علمائهم وقادة الفكر فيهم، كلها تتحدث عن فكرهم الواعي وتؤكد على سلامة العقيدة وأخذها من منبعها الصافي، الوحي الإلهي (كتاب وسنة) وهي لم تزل ولا تزال معتصمة بهما مع لزوم جماعة المسلمين وما كان عليه سلف هذه الأمة التابعين وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين، ومحاربة البدع وأهلها، وأهل الأهواء الضالة التي جاء بأفكار مشوشة ودخيلة، أخذ من المسلمين وقتاً طويلاً في تصنيفها وتفنيدها بالحجج والبراهين النقلية والعقلية.

بيان الأصول التي احتج عليها أهل السنة: كإقرار الإمام عبد القاهر البغدادي(١)، وقد عقد فصلاً كاملاً عن أصول أهل السنة والجماعة والتي احتجوا عليها. قال: اتفق جمهور أهل السنة والجماعة على أصول من أركان الدين، كل ركن منها يجب على كل عاقل بالغ معرفة حقيقته. ولكل ركن شعب وفي شعبها اتفق أهل السنة والجماعة فيها على قول واحد وضللوا من خالفهم منها.

---

(١) ينظر: الفرق بين الفِرق: ١٩٤.

وقد سماها الإمام عبد الملك الجويني اللمع في قواعد أهل السنة والجماعة[١]. كما ذكر أبو مظفر الإسفرائيني قواعد أهل السنة والجماعة في كتابه التبصير في الدين، وأثنى على الإمام عبد القاهر البغدادي بسعة الاطلاع، وحسن الكتابة وجمع الأصول والقواعد، وذكر الفِرق فقال:

ولم يكن لأهل السنة والجماعة من منصف لهم في جميع العلوم على الخصوص والعموم إلاّ من كان فرد زمانه وأوحد أقرانه في معارفه وعلومه، وكثرة الغُرر من تصانيفه وهو الإمام أبو منصور عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي التيمي قدس الله روحه[٢]، وهذه هي القواعد والأصول التي اجتمع عليها أهل السنة:

أما الركن الأول: وهو إثبات الحقائق والعلوم:

فقد أجمعوا على إثبات العلوم معاني قائمة بالعلماء، وقالوا بتضليل نفاة العلم وسائر الأعراض، وبتضليل السوفسطائية[٣] الذين ينفون العلم وينفون حقائق الأشياء كلها وعدوهم معاندين لما قد علموه بالضرورة، وكذلك السوفسطائية الذين شكوا في وجود الحقائق، وكذلك الذين قالوا منهم بأن حقائق الأشياء تابعة للاعتقاد وصححوا جميع الاعتقادات مع تضادها وتنافيها، وهذه الفرق الثلاثة كلها كفرة معاندة لموجبات العقول الضرورية.

وقال أهل السنة: إن علوم الناس، وعلوم سائر الحيوانات ثلاثة أنواع: علم بديهي، وعلم حسي، وعلم استدلالي. وقالوا من جحد العلوم البديهية أو العلوم الحسية الواقعة من جهة الحواس الخمس فهو معاند، ومن أنكر العلوم النظرية الواقعة

---

(١) ينظر: اللمع في قواعد أهل السنة والجماعة، عبد الملك الجويني (ت ٤٣٨هـ) تحقيق د. فوقية حسين محمود، عالم الكتب، ط ٢، ١٩٨٧م: ١/ ٨٥.

(٢) التبصير في الدين: ١٩٤.

(٣) السوفسطائية: مأخوذة من السفسطة وهي: قياس مركب من الوهميات والغرض منه تغليط الخصم وإسكاته. كقولنا: الجوهر موجود في الذهن، وكل موجود في الذهن قائم بالذهن عرض ينتج أن الجوهر عرض. التعريفات، السيد الشريف الجرجاني، مصطفى البابي الحلبي، ١٣٥٧هـ/ ١٩٣٨م: ١٠٤.

عن النظر، والاستدلال نظر فيه، فإن كان من السمنية[1] المنكرة للنظر في العلوم العقلية فهو كافر ملحد، وحكمه حكم الدهرية لقوله معهم بقدم العالم وإنكار الصانع مع زيادته عليهم القول بإبطال الأديان كلها. وإن كان ممن يقول بالنظر في العقليات وينكر القياس في فروع الأحكام الشرعية كأهل الظاهر لم يكفر بإنكار القياس الشرعي.
وقالوا: بأن الحواس التي تدرك بها المحسوسات خمس وهي: حاسة البصر لإدراك المرئيات، وحاسة السمع لإدراك المسموعات، وحاسة الذوق لإدراك الطعوم، وحاسة الشم لإدراك الروائح، وحاسة اللمس لإدراك الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة واللين والخشونة بها. وقالوا: إن الإدراكات الواقعة من جهة هذه الحواس معانٍ قائمة بالآلات التي تسمى حواس.

وقالوا: إن الخبر المتواتر طريق العلم الضروري بصحة ما تواتر عنه الخبر إذا كان المخبر عنه مما يشاهد ويدرك بالحس والضرورة كالعلم بصحة وجود ما تواتر الخبر فيه من البلدان التي لم يدخلها السامع مع المخبر عنها، وكعلمنا بوجود الأنبياء والملوك الذين كانوا قبلنا فأما صحة دعاوى الأنبياء في النبوة فمعلوم لنا بالحجج النظرية.

وقالوا: إن الأخبار التي يلزمنا العمل بها ثلاثة أنواع: تواتر، وآحاد، ومتوسط مستفيض. فالخبر المتواتر الذي يستحيل التواطؤ على وضعه يوجب العلم الضروري بصحة مخبره. وبهذا النوع من الأخبار علمنا البلدان التي لم ندخلها، وبها عرفنا الملوك والأنبياء والقرون الذين من قبلنا وبه يعرف الإنسان والديه.

وأما أخبار الآحاد فمتى صح إسنادها، وكانت متونها، غير مستحيلة في العقل كانت موجبة للعمل بها دون العلم وكانت بمنزلة شهادة العدول عند الحاكم. أنه يلزمه الحكم بها في الظاهر وإن لم يعلم صدقهم في الشهادة، وبهذا النوع من الخبر أثبت الفقهاء أكثر فروع الأحكام الشرعية في العبادات والمعاملات وسائر أبواب الحلال والحرام.

---

(١) السمنية: الذين ينفون النظر والاستدلال ويقولون بقدم العالم. التبصير في الدين: ١٤٩.

وأما الخبر المستفيض المتوسط بين التواتر والآحاد فإنه يشارك التواتر في إيجابه للعلم والعمل. ويفارقه من حيث أن العلم الواقع عنه يكون علماً مكتسباً نظرياً. والعلم الواقع عن التواتر يكون ضرورياً غير مكتسب.

واتفق أهل السنة: على أن الله تعالى كلف العباد بمعرفته وأمرهم بها وأنه أمرهم بمعرفة رسوله وكتابه والعمل بما يدل عليه الكتاب والسنة. واتفقوا على أن كل علم كسبي نظري يجوز أن يجعلنا الله تعالى مضطرين إلى العلم بمعلومه. واتفقوا على أن أصول أحكام الشريعة القرآن والسنة وإجماع السلف.

هذا بيان ما اتفق عليه أهل السنة من مسائل الركن الأول.

الركن الثاني: وهو الكلام في حدوث العالم: فقد أجمعوا على أن العالم كل شيء هو غير الله ﷻ، وعلى أن كل ما هو غير الله تعالى وغير صفاته الأزلية مخلوق مصنوع، وعلى أن صانعه ليس بمخلوق ولا مصنوع من جنس العالم ولا من جنس شيء من أجزاء العالم.

وأجمعوا على أن أجزاء العالم قسمان: جواهر[١] وأعراض[٢]. وأجمعوا على أن كل جوهر جزء لا يتجزأ.

وقالوا بإثبات الملائكة والجن والشياطين في أجناس حيوانات العالم. وقالوا: بتجانس الجواهر والأجسام[٣]. وقالوا: إن اختلافها في الصور والألوان والطعوم والروائح إنما هو لاختلاف الأعراض القائمة بها. واتفقوا على حدوث الأعراض في الأجسام، واتفقوا على أن الأجسام لا تخلو ولم تخل قط من الأعراض المتعاقبة عليها.

---

(١) ماهية إذا وجدت في الأعيان كانت لا في موضوع وهو منحصر في خمسة: هيولي وصورة وجسم ونفس وعقل لأنه إما أن يكون مجرداً أو غير مجرد فالأول إما أن يكون متعلقاً بالبدن تعلق التدبير والتعرف أو لا يتعلق فالأول الفعل والثاني النفس. التعريفات: ٧٠.

(٢) العرض: الموجود الذي يحتاج في وجوده إلى موضع أي محل يقوم به كاللون المحتاج في وجوده إلى جسم يحله ويقوم به. التعريفات: ١٤٩.

(٣) الجسم: جوهر قابل للأبعاد الثلاثة، وقيل الجسم هو المركب المؤلف من الجواهر. التعريفات: ٦٧.

وأجمعوا على وقوف الأرض وسكونها وأن حركتها إنما تكون بعارض يعرض لها من زلزال ونحوها. وهم أرادوا بذلك قوة الجذب المغناطيسي للأرض خلافاً للدهرية الذين قالوا أن الأرض تهوي أبداً. ولأنهم أقاموا الدليل بقولهم كما قال عبد القاهر: ولو كانت كذلك لوجب ألاّ يلحق الحجر الذي نلقيه من أيدينا في الأرض أبداً لأن الخفيف لا يلحق ما هو أثقل منه في انحداره من الجهات الست خلاف قول الدهرية أنه لا نهاية للأرض من أسفل ولا عن يمين ولا عن شمال.

وأجمعوا على جواز الفناء على العالم كله من طريق القدرة والإمكان، وإنما قالوا بتأبيد الجنة أو تأبيد جهنم وعذابها من طريق الشرع.

الركن الثالث: وهو الكلام في صانع العالم وصفاته الذاتية التي استحقها لذاته.

إن الحوادث كلها لابد لها من محدث صانع. وقالوا إن صانع العالم خالق الأجسام والأعراض، وقالوا: إن صانع العالم قديم لم يزل موجوداً. وقالوا: بنفي النهاية والحد عن صانع العالم وأجمعوا على إحالة وصفه بالصورة والأعضاء وأجمعوا على أنه لا يحويه مكان ولا يجري عليه الزمان. وقد قال أمير المؤمنين علي ﷺ: إن الله تعالى خلق العرش إظهاراً لقدرته لا مكاناً لذاته وقال أيضاً: «وقد كان ولا مكان وهو الآن على ما كان». وأجمعوا على نفي الآفات، أو الغموم أو الآلام، واللذات عنه، وعلى نفي الحركة والسكون عنه. وأجمعوا على أن صانع العالم واحد.

الركن الرابع: وقالوا: هو الكلام في الصفات القائمة بالله ﷻ: أن علم الله تعالى وقدرته، وحياته، وإرادته، وسمعه، وبصره، وكلامه صفات له أزلية ونعوت له أبدية.

وأجمع أهل السنة على أن قدرة الله تعالى على المقدورات كلها قدرة واحدة يقدر بها على جميع المقدورات على طريق الاختراع دون الاكتساب. وأجمع أهل السنة على أن علم الله تعالى واحد يعلم به جميع المعلومات على تفاصيلها من غير حس، ولا بديهية ولا استدلال عليه وأجمعوا على أن سمعه وبصره محيطان بجميع المسموعات والمرئيات وأن الله تعالى لم يزل رائياً لنفسه وسامعاً لكلام نفسه.

وأجمع أهل السنة على أن الله تعالى يكون مرئياً للمؤمنين في الآخرة. وقالوا بجواز رؤيته في كل حال ولكل حي عن طريق العقل. ووجوب رؤية المؤمنين خاصة في الآخرة من طريق الخبر.

وأجمع أهل السنة على أن إرادة الله تعالى مشيئته، واختياره، وعلى أن إرادته للشيء كراهة لعدمه كما قالوا إن أمره بالشيء نهي عن تركه. وقالوا أيضاً إن إرادته نافذة في جميع مراداته على حسب علمه بها، فما علم كونه في الوقت الذي علم أنه يكون فيه وما علم أنه لا يكون أراد ألاّ يكون. وقالوا أنه لا يحدث في العالم شيء إلاّ بإرادته، ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن.

وأجمع أهل السنة: على أن حياة الإله سبحانه بلا روح ولا اغتذاء، وأن الأرواح كلها مخلوقة على خلاف قول النصارى في دعواهم قدم أب، وابن، وروح، وأجمعوا على أن الحياة شرط في العلم والقدرة، والإرادة، والرؤية، والسمع وأن من ليس بحي لا يصح أن يكون عالماً، قادراً، مريداً، سامعاً، مبصراً.

وأجمعوا على أن كلام الله ﷻ صفة له أزلية وأنه غير مخلوق، ولا محدث ولا حادث. ثم قال: وقلنا إشارة إلى أهل السنة: لا يجوز حدوث كلامه فيه لأنه ليس بمحل للحوادث ولا في غيره لأنه يوجب أن يكون غيره به متكلماً آمراً ناهياً ولا في غير محل لأن الصفة لا تقوم بنفسها، فبطل حدوث كلامه وصح أن صفته أزلية.

قالوا في الركن الخامس: وهو الكلام في أسماء الله تعالى وأوصافه:

إن مأخذ أسماء الله تعالى التوقيف عليها إما بالقرآن، وإما بالسنة الصحيحة وإما بإجماع الأمة عليه، ولا يجوز إطلاق اسم عليه من طريق القياس.

فقال أهل السنة: قد جاءت السنة الصحيحة بأن لله تعالى تسعة وتسعين اسماً وأن من أحصاها دخل الجنة ولم يرد بإحصائها ذكر عددها والعبارة منها، فإن الكافر قد يذكرها حاكياً لها ولا يكون من أهل الجنة، وإنما أراد بإحصائها العلم بها واعتقاد معانيها من قولهم فلان ذو حصاة وإحصاء إذا كان ذا علم وعقل. وقالوا: إن أسماء الله تعالى ثلاثة أقسام: قسم منها يدل على ذاته كالواحد، والغني، والأول، والآخر،

والجليل، والجميل وسائر ما استحقه من الأوصاف لنفسه. وقسم منها: يفيد صفاته الأزلية القائمة بذاته: كالحي، والقادر، والعالم، والمريد، والسميع، والبصير، وسائر الأوصاف المشتقة من صفاته القائمة بذاته. وهذا القسم من أسمائه مع القسم الذي قبله لم يزل الله بهما موصوفاً وكلاهما من أوصافه الأزلية. وقسم منها مشتق من أفعاله، كالخالق، والرازق، والعادل، ونحو ذلك.

وكل اسم اشتق من فعله لم يكن موصوفاً به قبل وجود أفعاله. وقد يكون من أسمائه ما يحتمل معنيين، أحدهما: صفة أزلية، والآخر: فعل له كالحكيم إن أخذناه من الحكمة التي هي العلم كان من أسمائه الأزلية وإن أخذناه من أحكام أفعاله وإتقانها كان مشتقاً من فعله ولم يكن من أوصافه الأزلية.

وقالوا في الركن السادس: وهو الكلام في عدل الإله سبحانه وحكمته:

إن الله سبحانه خالق الأجسام، والأعراض خيرها وشرها، وأنه خالق أكساب العباد ولا خالق غير الله. ثم قال رحمه الله: إن العبد مكتسب لعلمه والله سبحانه خالق لكسبه فهو سني عدلي منزه عن الجبر والقدر.

وأجمع أهل السنة: على إبطال قول أصحاب التولد في دعواهم أن الإنسان قد يفعل في نفسه شيئاً يتولد منه فعل في غيره. وأجمعوا على أن الإنسان يصح منه اكتساب الحركة، والسكون، والإرادة، والقول، والعلم، والفكر، وما يجري مجرى هذه الأعراض التي ذكرناها، وعلى أنه لا يصح منه اكتساب الألوان، والطعوم، والروائح والادراكات.

وقال أهل السنة: إن الهداية من الله تعالى على وجهين:

أحدهما: من جهة إبانة الحق والدعاء إليه ونصب الأدلة عليه وعلى هذا الوجه يصح إضافة الهداية إلى الرسل وإلى كل داعٍ إلى دين الله ﷻ لأنهم يرشدون أهل التكليف إلى الله تعالى، وهذا تأويل قول الله ﷻ في رسوله ﷺ: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾[1]، أي تدعو إليه.

---

(١) سورة الشورى/ ٥٢.

الوجه الثاني: من جهة أن هداية الله سبحانه لعباده خلق الاهتداء في قلوبهم كما ذكره في قوله: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ﴾(١). وهذا النوع من الهداية لا يقدر عليه إلا الله تعالى. والهداية الأولى من الله تعالى شاملة لجميع المكلفين، والهداية الثانية من خاصة المهتدين وفي تحقيق ذلك نزل قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾(٢).

والإضلال من الله تعالى عند أهل السنة على معنى خلق الضلال في قلوب أهل الضلال كقوله: ﴿وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ﴾(٣).

وقالوا: من أضله الله مبعد له ومن هداه فيفضله. وقال أهل السنة في الآجال: إن كل من مات حتف أنفه أو قتل فإنما مات بأجله الذي جعله الله أجلاً لعمره، والله تعالى قادر على إبقائه والزيادة في عمره، لكنه متى لم يبقه إلى مدة لم تكن المدة التي يبقيه إليها أجلاً له. وهذا كما أن المرأة التي لم يتزوجها قبل موته لم تكن امرأة له وإن كان الله سبحانه قادراً على أن يزوجها من قبل موته.

وقال أهل السنة في الأرزاق: بما هي عليه الآن وأن كل كم أكل شيئاً أو شربه فإنما تناول رزقه حلالاً كان أم حراماً.

وقالوا في ابتداء التكليف: إن الله تعالى لو لم يكلف عباده شيئاً كان عدلاً منه، وقالوا: لو زاد في تكليف العباد على ما كلفهم أو نقص بعض ما كلفهم كان جائزاً.

وقالوا: لو خلق الله تعالى الجمادات دون الأحياء جاز ذلك. وقالوا: لو خلق الله تعالى عباده كلهم في الجنة لكان ذلك فضلاً منه.

ونحن نقول: له الأمر والنهي وله القضاء يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد.

---

(١) سورة الأنعام/ ١٢٥.

(٢) سورة يونس/ ٢٥.

(٣) سورة الأنعام/ ١٢٥.

الركن السابع: المفروض في النبوة والرسالة:

إثبات الرسل من الله تعالى إلى خلقه.

وقالوا في الفرق بين الرسول والنبي: إن كل من نزل عليه الوحي من الله تعالى على لسان ملك من الملائكة وكان مؤيداً بنوعٍ من الكرامات الناقضة للعادات فهو نبي، ومن حصلت له هذه الصفة، أو خص أيضاً بشرع جديد، أو بنسخ بعض أحكام شريعةٍ كانت قبله فهو رسول.

وقالوا: إن الأنبياء كثيرة، والرسل منهم ثلاثمائة وثلاثة عشر، وأول الرسل أبو جميع البشر وهو آدم ﷺ وآخرهم محمدٍ ﷺ.

وقالوا: في سيدنا عيسى ﷺ أنه ينزل إلى الأرض بعد خروج الدجال، فيقتل الدجال، ويقتل الخنزير ويريق الخمور ويستقبل في صلاته الكعبة، ويؤيد شريعة محمد ﷺ ويحيي ما أحياه القرآن ويميت ما أماته القرآن.

وقالوا: بتكفير كل متنبئ سواء كان قبل الإسلام أو بعده كمسيلمة الكذاب، وسجاح، وسائر من كان بعدهم من المتنبئين.

وقالوا: بتكفير من ادعى الأنبياء آلهة، أو ادعى للأئمة نبوة أو ألوهية كالسبئية والبيانية[1] والمغيرية[2]، والمنصورية[3]، والخطابية[4] ومن جرى مجراهم.

---

(١) البيانية: أتباع بيان بن سمعان التميمي الذي كان يقول بإمامة محمد بن الحنفية، غير أن كثيراً من أتباعه يقولون أنه كان نبي نسخ بعض شريعة محمد ﷺ، وقالوا هو المراد بقوله: ﴿هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾ آل عمران/ ١٣٨. ينظر التبصير في الدين: ١٢٥.

(٢) المغيرية: أتباع مغيرة بن سعيد العجلي وكان يقول بإمامة محمد بن عبد الله بن الحسن بن علي وكان يستدل بما روي عن النبي ﷺ قال «إن المهدي يوافق اسمه اسمي واسم أبيه اسم أبي»، أخرجه أبو داود في سننه في كتاب المهدي. ينظر: التبصير في الدين: ١٢٥.

(٣) المنصورية: هم أتباع أبي منصور العجلي وكان يدعي أن الإمامة انتقلت إليه من الباقر، وكان يدعي أنه رفع إلى السماء، وأن الله مسح على رأسه وأنزله الأرض، وكان يقول إنما هو الكسف الذي في قوله تعالى: ﴿وَإِن يَرَوْا كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا يَقُولُوا سَحَابٌ مَّرْكُومٌ﴾ الطور/ ٤٤. ينظر: التبصير في الدين: ١٢٥.

(٤) الخطابية: هم أتباع الخطاب الأسدي وهم خمس فرق، وهم يقولون: الإمامة في أولاد علي إلى أن انتهت إلى محمد بن جعفر الصادق ويقولون إن الأئمة كانوا آلهة. التبصير في الدين: ١٢٦.

وقالوا بتفضيل الأنبياء على الملائكة. وقالوا بتفضيل الأنبياء على الأولياء من أمم الأنبياء.

وقالوا: بعصمة الأنبياء عن الذنوب وتأولوا ما روى عنهم من زلاتهم على أنها كانت قبل النبوة.

وقالوا في الركن الثامن: المضاف إلى المعجزات والكرامات:

إن المعجزة أمر يظهر بخلاف العادة على يد مدعي النبوة مع تحديه قومه بها ومع عجز قومه عن معارضته بمثلها على وجه يدل على صدقه في زمان التكليف.

وقالوا: لابد للنبي من معجزة واحدة تدل على صدقه، فإذا ظهرت عليه معجزة واحدة تدل على صدقه وعجزوا عن معارضته بمثلها فقد لزمتهم الحجة في وجوب تصديقه ووجوب طاعته فإن طالبوه بمعجزة سواها فالأمر إلى الله ﷻ إن شاء أيده بها وإن شاء عاقب المطالبين له بها لتركهم الإيمان بمن ظهرت دلالة على صدقه.

وقالوا: الصادق في دعوى النبوة يجوز ظهور معجزة التصديق عليه ولا يجوز ظهور معجزة التصديق على المتنبي في دعوى النبوة، ويجوز أن يظهر عليه معجزة تدل على كذبه كنطق شجرة، أو عضو من أعضائه بتكذيبه.

وقالوا: يجوز ظهور الكرامات على الأولياء وجعلوها دلالة على الصدق في أحوالهم، كما كانت معجزات الأنبياء دلالة على صدقهم في دعاويهم.

وقالوا: على صاحب المعجزة إظهارها والتحدي بها وصاحب الكرامات لا يتحدى بها غيره وربما كتمها. وصاحب المعجزة مأمون العاقبة، وصاحب الكرامة لا يأمن تغير عاقبته، كما تغيرت عاقبة بلعم بن باعورا بعد ظهور كراماته.

وقالوا في معجزات محمد ﷺ بانشقاق القمر، وتسبيح الحصى في يده ونبوع الماء من بين أصابعه وإشباعه الخلق الكثير من الطعام اليسير ونحو ذلك كثير.

وقالوا بإعجاز القرآن في نظمه على خلاف قول القدرية أن لا إعجاز في القرآن كما ذهب النظام.

قالوا في الركن التاسع: المضاف إلى أركان شريعة الإسلام:

إن الإسلام مبني على خمسة أركان: شهادة أن لا إله إلاّ الله وأن محمداً رسول الله. وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت الحرام. وقالوا من أسقط وجوب ركن من هذه الأركان الخمسة أو تأولها على معنى موالاة قوم كما تأولت عليها المنصورية والجناحية[1] من غلاة الرافضة فهو كافر.

وقالوا: في الصلوات المفروضة أنها خمسة، وكفروا من أسقط وجوب بعضها. وكان مسيلمة قد أسقط وجوب صلاتي الصبح والمغرب وجعل سقوطها مهراً لامرأته سجاح المتنبئة فكفر وألحد.

وقالوا: بوجوب عقد الجمعة وكفروا الخوارج والروافض من قال لا جمعة اليوم حتى يظهر إمامهم الذي ينتظرونه.

وقالوا: بوجوب زكاة الأعيان في الذهب والوِرِق، والإبل، والبقر، والغنم، إذا كانت هذه الأصناف الثلاثة من النعم سائمة، وأوجبوها في الحبوب المقتاتة التي يزرعها الناس ويتخذون منها قوتاً، وأوجبوها في ثمار النخيل والأعناب، فمن قال لا زكاة في هذه الأشياء التي ذكرناها فقد كفر، ومن أثبت زكاتها بالجملة وكان خلافه في نصبها على ما اختلف فقهاء الأمة لم يكفر.

وقالوا: بوجوب صوم رمضان وحرموا الفطر فيه إلاّ بعذر، صغر أو جنون أو مرض أو سفر أو نحو ذلك من الأعذار.

وقالوا باعتبار شهر الصيام من رؤية هلال رمضان أو بكمال شعبان ثلاثين يوماً، ولم يفطروا في آخره إلاّ برؤية هلال شوال أو بإكمال أيام رمضان ثلاثين يوماً. وضللوا من صام من الروافض قبل الهلال بيوم وأفطر قبل الفطر بيوم.

---

(١) الجناحية: وهم جملة الغلاة أتباع عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب يزعمون أن روح الإله تحل في الأنبياء والأئمة، وتنتقل من بعضهم إلى بعض، وكانوا ينكرون القيامة والجنة والنار ويستحلون الزنا، واللواطة، وشرب الخمر، وأكل الميتة، ولا يرون وجوب الصلاة، والصوم، والزكاة، والحج. التبصير في الدين: ١٢٦.

وقالوا: بوجوب الحج في العمر مرة واحدة على من استطاع إليه سبيلا، وأكفروا من أسقط وجوبها من الباطنية، ولم يكفروا من أسقط وجوب العمرة لاختلاف الأمة في وجوبها.

وقالوا: من شرط صحة الصلاة الطهارة وستر العورة ودخول الوقت واستقبال القبلة حسب الإمكان، ومن أسقط اعتبار هذه الشروط أو اعتبار شيء منها مع الإمكان كفر.

وقالوا: بوجوب الجهاد مع الأعداء للإسلام حتى يسلموا أو يؤدوا الجزية منهم من يجوز قبول الجزية منه.

وقالوا بجواز البيع وتحريم الربا وضللوا من أباح الربا بالجملة.

وقالوا: بأن الفروج لا تستباح إلاّ بنكاح صحيح أو ملك يمين. وقالوا: بوجوب إقامة حد الزنى، والسرقة، والخمر، والقذف وأكفروا من أسقط حد الخمر والرجم.

وقالوا: أصول أحكام الشريعة الكتاب والسنة، وإجماع السلف وأكفروا من لم ير إجماع الصحابة حجة، وأكفروا الخوارج في ردهم حجج الإجماع والسنن وأكفروا من قال من الروافض لا حجة في شيء من ذلك، وإنما الحجة في قول الإمام الذي ينتظرونه وهؤلاء اليوم حيارى في التيه وكفاهم بذلك خزياً.

الركن العاشر: المضاف إلى الأمر والنهي:

إن أفعال المكلفين خمسة واجب، ومحظور، ومسنون، ومكروه، ومباح.

فالواجب: ما أمر الله به على وجه اللزوم وتاركه مستحق للعقاب على تركه. والمحظور: ما نهى الله عنه وفاعله يستحق العقاب على فعله. والمسنون: ما يثاب فاعله ولا يعاقب تاركه. والمكروه: ما يثاب تاركه ولا يعاقب فاعله. والمباح: ما ليس في فعله ثواب ولا عقاب ولا في تركه ثواب ولا عقاب. وهذا كله أفعال المكلفين. فأما أفعال البهائم، والمجانين، والأطفال، فإنها لا توصف بالإباحة والحظر بحال.

وقالوا: إن كل ما وجب على المكلف من معرفة، أو قول، أو فعل فإنما وجب عليه بأمر الله تعالى إياه به، وكل ما حرم عليه فعله فبنهي من الله تعالى إياه عنه ولو لم يرد الأمر والنهي من الله تعالى على عباده لم يجب عليهم شيء ولم يحرم عليهم شيء.

وقالوا في الركن الحادي عشر: المضاف إلى فناء العباد وأحكامهم في المعاد:

إن الله سبحانه وتعالى قادر على إفناء جميع العالم جملة، وعلى إفناء بعض الأجسام مع بقاءٍ على بعضها. وقالوا: إن الله ﷻ يعيد في الآخرة الناس وسائر الحيوانات التي ماتت في الدنيا.

وقالوا: بخلق الجنة والنار. وقالوا: بدوام نعيم الجنة على أهلها. ودوام عذاب النار على المشركين والمنافقين.

وقالوا: بإثبات السؤال في القبر وبعذاب القبر لأهل العذاب وقطعوا بأن المنكرين لعذاب القبر يعذبون في القبر.

وقالوا: بالحوض والصراط والميزان. وقالوا: بإثبات الشفاعة من النبي ﷺ ومن صلحاء أمته للمذنبين من المسلمين ولمن في قلبه ذرة من الإيمان.

الركن الثاني عشر: المضاف إلى الخلافة والإمامة:

إن الإمامة فرض واجب على الأمة لأجل إقامة الإمام ينصب لهم القضاة والأمناء ويضبط ثغورهم، ويغزي جيوشهم ويقسم الفيء بينهم، وينصف مظلومهم من ظالمهم.

وقالوا: إن طريق عقد الإمامة للإمام في هذه الأمة الاختيار بالاجتهاد.

وقالوا: ليس من النبي ﷺ نص على إمامة واحد بعينه خلاف من زعم من الرافضة أنه نص على إمامة علي ؓ نصاً مقطوعاً بصحته، ولو كان كما قالوه لنقل ذلك نقل ثلة، ولا ينفصل من ادعى ذلك في علي ؓ مع عدم التواتر في نقله ممن ادعى مثله في أبي بكر ؓ أو غيره مع عدم النقل فيه.

وقالوا: من شرط الإمامة النسب من قريش، وهم: بنو النضر بن كنانة بن خزيمة ابن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان.

وقالوا: من شرط الإمام العلم، والعدالة، والسياسة، وأوجبوا من العلم له مقدار ما يصير به من أهل الاجتهاد في الأحكام الشرعية، وأوجبوا من عدالته أن يكون ممن يجوز حكم الحاكم بشهادته، وذلك بأن يكون عدلاً فيدينه، مصلحاً لماله وحاله، غير مرتكب لكبيرة ولا مصر على صغيرة، ولا تارك للمروءة في جل أسبابه، وليس من شرطه العصمة من الذنوب كلها.

وقالوا: لا تصح الإمامة إلاّ لواحد في جميع أرض الإسلام إلاّ أن يكون بين الصقعين حاجز من بحر، أو عدو لا يطاق ولم يقدر أهل كل واحد من الصقعين على نصرة الصقع الآخر فحينئذ يجوز لأهل الصقع عقد الإمامة لواحد يصلح منهم.

وقالوا: بتفضيل أبي بكر وعمر على من بعدهما وإنما اختلفوا في التفاضل بين علي وعثمان رضي الله عنهما.

وقالوا: بإمامة أبي بكر الصديق ﷺ بعد النبي ﷺ. وقالوا: بموالاة عثمان وتبرؤوا ممن أكفره وقالوا: بإمامة علي ﷺ في وقته. وقالوا: بتصويب علي في حروبه بالبصرة وصفين، ونهروان. وقالوا: بأن طلحة والزبير تابا ورجعا عن قتال علي، لكن الزبير قتله عمرو بن جرموز بوادي السباع بعد منصرفه من الحرب. وطلحة لمّا همّ بالانصراف، رماه مروان بن الحكم وكان مع أصحاب الجمل بسهم فقتله.

وقالوا: إن عائشة رضي الله عنها قصدت الإصلاح بين الفريقين فغلبها بنو ضبّة والأزد على رأيها وقاتلوا علياً دون إذنها حتى كان من الأمر ما كان.

وقالوا في صفين أن الصواب كان مع علي ﷺ وأن معاوية وأصحابه بغوا عليه بتأويل أخطئوا فيه ولم يكفروا بخطئهم. وقالوا إن علياً أصاب في التحكيم غير أن الحكمين أخطأا في خلع علي من غير سبب أوجب خلعه وخدع أحد الحكمين الآخر.

وقالوا: بمروق أهل النهروان عن الدين لأن النبي ﷺ سماهم مارقين لأنهم أكفروا علياً وعثمان وعائشة وابن عباس، وطلحة والزبير وسائر من تبع علياً بعد التحكيم، وأكفروا كل ذي ذنب من المسلمين ومن أكفر المسلمين وأكفر أخيار الصحابة فهو الكافر دونهم.

الركن الثالث عشر: المضاف إلى الإيمان والإسلام:

إن أهل الإيمان المعرفة والتصديق بالقلب وإنما اختلفوا في تسمية الإقرار وطاعات الأعضاء الظاهرة إيماناً مع اتفاقهم على وجوب الطاعات المفروضة، وعلى استحباب النوافل المشروعة.

وقالوا: إن اسم الإيمان لا يزول بذنب دون الكفر، ومن كان ذنبه دون الكفر فهو مؤمن وإن فسق بمعصية.

وقالوا: لا يحل قتل امرئ مسلم إلاّ بإحدى ثلاث: من ردة أو زنى بعد إحصان أو قصاص بمقتول هو كفؤه.

الركن الرابع عشر: المضاف إلى الأولياء والأئمة:

إن الملائكة معصومون عن الذنوب لقوله تعالى: ﴿لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ﴾[١].

وقال أكثرهم بفضل الأنبياء على الملائكة خلاف قول من فضل الملائكة على الأنبياء والتزم من ذلك فضل الزبانية على أولي العزم.

وقالوا بفضل الأنبياء على الأولياء من الأمم. واختلف أهل السنة في إمامة المفضول، فأباها شيخنا أبو الحسن الأشعري وأجازها القلانسي.

وقالوا: بموالاة العشرة من أصحاب النبي ﷺ، وقطعوا بأنهم من أهل الجنة وهم الخلفاء الأربعة وطلحة والزبير وسعد بن أبي وقاص وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل وعبد الرحمن بن عوف، وأبو عبيدة عامر بن الجراح. وقالوا: بموالاة كل من شهد بدراً من أصحاب النبي ﷺ وقطعوا بأنهم من أهل الجنة. وكذلك القول فيمن شهد أحداً، إلاّ رجلاً اسمه (قزمان)[٢] فإنه قتل بأحد جماعة من المشركين وقتل نفسه وكان ينسب إلى النفاق. وكذلك من شهد بيعة الرضوان بالحديبية من أهل الجنة.

---

(١) سورة التحريم/ ٦.

(٢) وفيه قال الرسول ﷺ: «إن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر».

وقالوا: قد صح الخبر بأن سبعين ألفاً من هذه الأمة يدخلون الجنة بلا حساب وأن كل واحد منهم يشفع في سبعين ألفاً وقد دخل في هذه الجماعة عكاشة بن محصن. وقالوا أيضاً: بموالاة كل من مات على دين الإسلام ولم يكن قبل موته على بدعة من ضلالات أهل الأهواء الضالة.

وقالوا في الركن الخامس عشر: مضاف إلى أحكام أعداء الدين:

- إن أعداء دين الإسلام صنفان:

صنف كانوا قبل ظهور دولة الإسلام.

وصنف ظهروا في دولة الإسلام وتستروا بالإسلام في الظاهر وكادوا للمسلمين وابتغوا إغوائهم.

فالذين كانوا قبل الإسلام أصناف تختلف فيهم الأوصاف، منهم: عبدة الأصنام والأوثان ومنهم عبدة إنسان مخصوص، كالذين عبدوا جمشيد[١]. والذين عبدوا نمرود ابن كنعان[٢]، والذين عبدوا فرعون ومن جرى مجراهم. ومنهم: الذين عبدوا ما استحسنوا من الصور على مذاهب الحلولية في دعواها حلول روح الإله بزعمهم في الصور الحسنة. ومنهم: الذين عبدوا الشمس والقمر، أو الكواكب جملة أو بعض الكواكب خصوصاً، ومنهم: الذين عبدوا الملائكة وسموها بنات الله، وفيهم نزل قول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ لَيُسَمُّونَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ تَسْمِيَةَ ٱلْأُنثَىٰ﴾[٣]، ومنهم: من عبد شيطاناً مريداً. ومنهم قوم عبدوا البقر ... ومنهم: عبدوا النيران، وحكم جميع عبدة الأصنام والناس والملائكة والنجوم والنيران تحريم ذبائحهم، ونكاح نسائهم على المسلمين. واختلفوا في قبول الجزية منهم، فقال الشافعي: لا تقبل منهم الجزية، وإنما يجوز قبولها من أهل الكتاب، أو ممن له شبهة كتاب، وقال مالك، وأبو حنيفة: يجوز قبولها منهم، غير أن مالكاً استثنى القرشي منهم وأبو حنيفة العربي منهم.

---

(١) هو رابع سلاطين البيشدادية معروف بين العرب باسم متوشلخ، حاشية الفرق بين الفرق: ٣٠٣.

(٢) هو ملك الآراميين الذي آذى إبراهيم عليه السلام، انظر المصدر السابق.

(٣) سورة النجم/ ٢٧.

ومن أصناف الكفر قبل الإسلام: السوفسطائية المنكرة للحقائق، ومنهم السمنية القائلون بقدم العالم مع إنكارهم للنظر والاستدلال ودعواهم أنه لا يعلم شيء إلاّ من طريق الحواس الخمس، ومنهم الدهرية القائلون بقدم العالم، ومنهم القائلون بقدم هيولي العالم مع إقرارهم بحدوث الأعراض منها.

ومنهم الفلاسفة الذين قالوا بقدم العالم وأنكروا الصانع، وبه قال منهم فيثاغورس(١) وباذينوس(٢) ومنهم الفلاسفة الذين أقروا بصانع قديم ولكنهم زعموا أن صنعه قديم معه. وقالوا بقدم الصانع والمصنوع كما ذهب إليه أنبذقلس(٣).

ومنهم الفلاسفة الذين قالوا بقدم الطبائع الأربعة والعناصر الأربعة التي هي الأرض والماء والنار والهواء.

ومنهم الذين قالوا: بقدم هذه الأربع وقدم الأفلاك والكواكب معها وزعم أن للفلك طبيعة خاصة وأنها لا تقبل الكون والفساد لا في الجملة ولا في التفصيل.

وقد أجمع المسلمون على أن هؤلاء الأصناف الذين ذكرناهم لا يحل للمسلمين أكل ذبائحهم ولا نكاح نسائهم، واختلفوا في قبول الجزية منهم فمن قبلها من أهل الأوثان قبلها منهم، ومن لم يقبلها من أهل الأوثان لم يقبلها منهم. وبه قال الشافعي وأصحابه ...

---

(١) فيثاغورس بن منسارخس من أهل ساحيا وكان في زمن سليمان عليه السلام قد أخذ الحكمة من معدن النبوة وهو الحكيم الفاضل ذو الرأي المتين والعقل الرصين. ينظر: الملل والنحل: ٢/ ١٩٥.

(٢) باذينوس: هو من الفلاسفة الذين قالوا إن الصانع قديم ولكنهم زعموا أن صنعه قديم. ينظر: الفرق بين الفرق: ٢١٤.

(٣) أنبذقلس: وهو من الكبار عند الفلاسفة دقيق النظر في العلوم دقيق الحال في الأعمال وكان زمن داود عليه السلام مضى إليه وتلقى منه واختلف إلى لقمان الحكيم واقتبس منه الحكمة ثم عاد إلى يونان وأفاد منه. ينظر: الملل والنحل: ١٦٦/٢.

وقالـوا فـي المجوس: أنهم أربع فرق: زروانية[١]، ومـسخية[٢]، وخرمدينيـة[٣]، والبه آفريدية[٤]، وذبائح جميعهم حرام وكذلك نكاح نسائهم حرام. وقد أجمع الشافعي ومالك وأبي حنيفة والأوزاعي والثـوري عـلى جـواز قبـول الجزيـة مـن الزروانيـة، والمسخية منهم. واختلفوا في مقدار دياتهم. فقال الشافعي ديـة المجـوسي خمـس ديـة اليهودي والنصراني، ودية اليهودي والنصراني ثلث دية المسلم. فدية المجوسي خمـس دية المسلم وقال أبو حنيفة دية المجوسي واليهودي والنصراني كدية المسلم.

وأما المزدكية[5] من المجوس فلا يجوز قبول الجزية منهم لأنهم فارقوا دين المجوس الأصلية، باستباحة المحرمات كلها وبقولهم: إن الناس كلهم شركاء بالأموال والنساء وسائر اللذات، وكذلك البه آفريدية لا يجوز قبول الجزية منهم، وإن كانوا أحسن قولاً من المجوس الأصلية لأن دينهم ظهر من زعيمهم به آفريد في دولة الإسلام، وكل كفر ظهر بعد دولة الإسلام لا يجوز أخذ الجزية من أهله.

واختلف الفقهاء في الصابئين[٦] من الكفرة: فقال أكثرهم إن حكمهم في الذبيحة والنكاح والجزية كحكم النصارى في جواز ذلك كله. ومنهم من قال إن من قال مـن الصابئين بقدم الهيولي فحكمه حكم أصحاب الهيولي[٧] كما ذكرناه قبل هذا، ومن قال منهم بحدوث العالم وكان الخلاف معه في صفات الصانع فحكمه حكم النصارى وبه نقول.

---

(١) زروانية: قالوا النور أبدع أشخاصاً من نور كلها روحانية نورانية ربانية لكن الشخص الأعظم الذي اسمه زوران شك في شيء من الأشياء فحدث أهرمن الشيطان من ذلك. الملل والنحل: ٢/ ٧٤.

(٢) مسخية: فقالت ران النور كان وحده نوراً محضاً ثم انمسخ بعضه فصار ظلمة. الملل والنحل: ٢/ ٧٦.

(٣) خرمدينية: قالوا بأصلين ولهم ميل إلى التناسخ والحلول، وهم لا يقولون بأحكام وحلال وحرام. الملل والنحل: ٢/ ٧٦.

(٤) البه آفريدية: وهم على مذهب المجوس يقولون بيزدان و(أهرمن). التبصير في الدين: ١٥٠.

(٥) المزدكية: هو مزدك الذي ظهر في أيا قباذ ودعاه إلى مذهبه فأجابه دينهم كالمانوية إلاّ أن مزدك قال النـور يفعـل بالقصد والاختيار والظلمة على الخبط والاتفاق. الملل والنحل: ٢/ ٨٦.

(٦) الصابئين: ميلهم عن سنن الحق وزيغهم عن الأنبياء يقال لهم صابئة. الملل والنحل: ٢/ ٩٥.

(٧) أصحاب الهيولي: يقولون بقدم أصل العالم ويقرون بحدوث الأعراض. التبصير في الدين: ١٤٩.

وأجمع أصحاب الشافعي على أن البراهمة الذين ينكرون جميع الأنبياء والرسل لا تحل ذبائحهم ولا نكاح نسائهم وإن وافقوا المسلمين في حدوث العالم وتوحيد صانعه والخلاف في قبول الجزية منهم كالخلاف في قبولها من أهل الأوثان.

وأجمع فقهاء الإسلام على استباحة ذبائح اليهود، والسامرة[١]، والنصارى، وعلى جواز نكاح نسائهم، وعلى جواز قبول الجزية منهم، وإنما اختلفوا في مقدار الجزية. فقال الشافعي: إن بذل كل حالم ديناراً واحداً حقن دمه، وقال أبو حنيفة: على الموسر منهم ثمانية وأربعون درهماً وعلى المتوسط أربعة وعشرون، وعلى الفقير اثنا عشر. واختلفوا في حدودهم، فقال الشافعي: إنها كحدود المسلمين ويرجم الزاني منهم إذا كان محصناً، وقال أبو حنيفة: لا رجم عليهم.

واختلفوا في دياتهم، فقال الشافعي: دية الرجل منهم ثلث دية المسلم ودية المرأة ثلث دية المسلمة، وقال مالك: دية الكتابي نصف دية المسلم، وقال أبو حنيفة: كدية المسلم سواء، واختلفوا في جريان القصاص بينهم، فقال الشافعي لا يقتل مؤمن بكافر بحال، وقال أبو حنيفة: يقتل المسلم بالذمي ولا يقتل بالمستأمن. واختلفوا أيضاً في وجوب الجزية على الشيخ الفاني منهم، فأوجبها الشافعي ولم يوجبها أبو حنيفة إلاّ على من كان منهم ذا تدبير في الحروب.

واختلفوا في الثنوية[٢] من المانوية[٣]، والديصانية[٤]؟ والمرقونية الذين قالوا بقدم النور والظلمة وزعموا أن العالم مركب منهما وأن الخير والنفع من النور وأن الشر

---

(١) السامرة: قوم يسكنون بيت المقدس يتقشفون بالطهارة أكثر من اليهود أثبتوا نبوة موسى وهارون وأنكروا نبوة من بعدهم. الملل والنحل: ٢/ ٥٨.

(٢) الثنوية: هؤلاء أصحاب الاثنين الأزليين يزعمون أن النور والظلمة أزليان قديمان بخلاف المجوس. ينظر: الملل والنحل: ٢/ ٨٠، الهامش.

(٣) المانوية: أصحاب ماني بن فاتك الحكيم الذي ظهر في زمان شابور ين أزدشير وذلك بعد عيسى ﷺ أخذ ديناً بين المجوسية والنصرانية. الملل والنحل: ٢/ ٨١.

(٤) الديصانية: أصحاب ديصان أثبتوا أصلين نوراً وظلاماً، فالنور يفعل الخير قصداً واختياراً والظلام يفعل الشر طبعاً واضطراراً.

والضرر من الظلام. فزعم بعض الفقهاء أن حكمهم كالمجوس وأباح أخذ الجزية منهم مع تحريم ذبائحهم ونسائهم، والصحيح عندنا أن حكمهم في النكاح والذبيحة والجزية كحكم عبدة الأوثان والأصنام وقد بينا ذلك[1].

٢- تأثيرهم وتراثهم الفكري وآثارهم العلمية

عقد صاحب كتاب التبصير في الدين الإمام أبو المظفر الإسفرائيني وصاحب الفرق بين الفرق الإمام البغدادي فصلاً كاملاً عن آثارهم العلمية وتأثيرهم وتراثهم الفكري والحضاري.

قال أبو المظفر: اعلم أنه لا خصلة من الخصال التي تعد في المفاخر لأهل الإسلام من المعارف والعلوم، وأنواع الاجتهادات، إلاّ ولأهل السنة والجماعة في تزيينها القدح الأعلى والسهم الأوفر.

١- أصول الدين: فأول متكلميهم من الصحابة علي بن أبي طالب كرم الله وجهه حيث ناظر الخوارج في مسائل الوعد والوعيد، وناظر القدرية في المشيئة والاستطاعة والقدر، ثم عبد الله بن عمر رضي الله عنهما حيث تبرأ من معبد الجهني في

---

(١) ينظر الفرق بين الفرق: ١٩٤-٢١٦؛ التبصير في الدين: ١٥٣-١٨٥؛ لمع الأدلة في قواعد أهل السنة: ٨٥-١٣٠؛ الإرشاد، لإمام الحرمين الجويني (ت ٤٧٨هـ)، حققه الدكتور محمد يوسف موسى وعلي عبد المنعم عبد الحميد، مكتبة الخانجي، ١٣٦٩هـ-١٩٥٩م: ٣٣-٣٠٤؛ شرح العقيدة الطحاوية المسماة (بيان السنة والجماعة) متن العقيدة للطحاوي الحنفي والشرح للشيخ العلامة عبد الغني الغنيمي الميداني الحنفي الفقيه، حققه محمد مطيع الحافظ ومحمد رياض المالح، مكتبة النوري، دمشق: ٢٥-٢٠١؛ إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين: ٢/ ٨-٤٥٤؛ تبيين كذب المفتري: لابن عساكر؛ اعتقاد أهل السنة والجماعة لعدي بن مسافر الأموي: ٣٩-٩٤؛ الإنصاف في ما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به، القاضي أبو بكر الباقلاني (ت ٤٠٣هـ)، تحقيق محمد زاهد الكوثري، مكتب نشر الثقافة الإسلامية، ١٣٦٩هـ١٩٥٠م: ١١٢-١٧١؛ شرح الإمام العلامة سعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني على متن العقائد للشيخ نجم الدين عمر بن محمد النسفي (٥٣٧هـ) وبهامشه حاشية الكستلي المتوفي (٩٠١هـ) على شرح العقائد وحاشية أحمد بن موسى الخيالي (ت ٨٦٠هـ) وحاشية الشيخ رمضان البهشني (ت ٩٧٩هـ) دار صادق، ١٣٢٦هـ: ٣-١٩٩؛ شرح المقاصد للعالم الإمام مسعود بن عمر الشهير بسعد الدين التفتازاني، تحقيق د. عبد الرحمن عبدة، منشورات الشريف الرضي، ط ١، ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م، الأجزاء من ١-٤.

نفيه للقدر وأول متكلمي أهل السنة من التابعين عمر بن عبد العزيز وله رسالة بليغة في الرد على القدرية. ثم زيد بن علي زين العابدين بن الحسين وله كتاب في الرد على القدرية ثم الحسن البصري ورسالته إلى عمر بن عبد العزيز في ذم القدرية معروفة ثم الشعبي وكان أشد الناس على القدرية ثم الزهري وهو الذي أفتى عبد الملك بن مروان بدماء القدرية.

ومن بعد هذه الطبقة جعفر بن محمد الصادق وله كتاب في الرد على القدرية وكتاب الرد على الخوارج ورسالة في الرد على الغلاة من الروافض.

وأول متكلميهم من الفقهاء وأرباب المذاهب أبو حنيفة والشافعي، فإن أبا حنيفة له كتاب في الرد على القدرية سماه كتاب الفقه الأكبر وله رسالة أملاها في نصرة قول أهل السنة أن الاستطاعة مع الفعل ولكنه قال: تصلح للضدين وعلى هذا قوم من أصحابنا، وللشافعي كتابان في الكلام أحدهما: في تصحيح النبوة والرد على البراهمة والثاني في الرد على أهل الأهواء. ثم بعد الشافعي تلامذته الجامعون بين علم الفقه والكلام وكان أبو العباس بن سريج أبرع الجماعة في هذه العلوم وله كتاب الجاروف على القائلين بتكافؤ الأدلة ثم من بعدهم الإمام أبو الحسن الأشعري الذي صار شجاً في حلوق القدرية ومن تلامذته أبو الحسن الباهلي توفي سنة ٣٧٠هـ وأبو عبد الله بن مجاهد وهما من أشهرا تلامذته، هم إلى اليوم شموس الزمان وأئمة العصر[1]، والرد على أهل الزيغ والبدع لا تكاد تندرس إلى يوم القيامة، مثل كتاب (الهداية) وكتاب نقض النقض وكتاب التقريب في الأصول وكتاب الكبير في الأصول يشتمل على عشرة آلاف ورقة، وكتاب (الكسب) وكتاب (التمهيد) وغير ذلك من التصانيف.

ومثل الإمام أبي إسحاق الإسفرائيني رحمه الله يقول أبو المظفر: عقمت النساء عن أن تلدن مثله، ولم تر عيناه في عمره مثل نفسه، وكان شديداً على خصمه، يفرق الشيطان من حسه، قدس الله روحه وله تصانيف في أصول التوحيد وأصول الفقه، كل

(١) ينظر الفرق بين الفرق: ٢٢٠؛ التبصير في الدين: ١٩٢.

واحد منها معجزة في فنه، منها: كتاب (الجامع) وهو كتاب لم يصنف في الإسلام مثله وله عدد كثير من لطائف التصنيف في أصول الدين: مثل (المختصر في الرد على أهل الاعتزال والقدر)، وكتاب (الوصف والصفة) وكتاب (تحقيق الدعاوي) وكتاب (شرح الاعتقاد) وله في الأصول (ترتيب المذهب) و(المختلف في الأصول) لم يؤلف مثله في أصول الفقه بعد الشافعي.

ومثل الأستاذ أبي بكر بن فورك الأصفهاني له كتاب (التلخيص) قال أبو المظفر ولو لم يكن لأهل السنة والجماعة في الرد على أهل الإلحاد والبدعة سوى هذا الكتاب في حسن بيانه، ولطافة ترتيبه، وتهذيبه كان فيه الكفاية في حسنه.

ثم قال أبو المظفر: ولو لم يكن لأهل السنة والجماعة من مصنف لهم في جميع العلوم على الخصوص والعموم، إلاّ من كان فرد زمانه، وأوحد أقرانه في معارفه وعلومه وكثرة الغرز من تصانيفه وهو الإمام أبو منصور عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي التميمي قدس الله روحه وما من علم من العلوم إلاّ وله فيه تصانيف ولو لم يكن له من التصانيف إلاّ كتاب الملل والنحل في أصول الدين وهو كتاب لا يكاد يسع في خاطر بشر أن يتمكن من مثله لكثرة ما فيه من الفنون[1].

والإمام أبو المظفر الإسفرائيني صاحب التبصير في الدين وعبد الملك الجويني صاحب الشامل والإرشاد ولمع الأدلة من قواعد أهل السنة والجماعة. والإمام الغزالي صاحب التصانيف العظمى (إحياء علوم الدين) والإمام الفخر الرازي صاحب (المطالب العالية) و(التفسير الكبير). والإمام النسفي صاحب (العقائد النسفية) والإمامان الجليلان في سعد الدين التفتازاني صاحب المقاصد وشرحها والإمام السيد الجرجاني صاحب شرح المواقف للإيجي وغيرهم من أئمة الدين والمنافحين عن أصوله والرادين على الزنادقة والملحدين.

---

(١) التبصير في الدين: ١٩٣-١٩٤.

٢- الحديث: العلوم المتعلقة بأحاديث المصطفى ﷺ والتمييز بين الصحيح والسقيم من الروايات ومعرفة السلف الصالح، ولا يدخل في تلك الصنعة إلاّ أهل السنة والجماعة وكذلك علوم القرآن لا حظ في شيء منها لأحد من الخوارج، والروافض والقدرية. وكيف يكون فيه حظ لمن يدعي أن في القرآن زيادة ونقصاً ويقدح في الصحابة الذين عليهم مدار الحديث؟ بل لا يبالي بأن يقدم عليهم بالتضليل والتكفير[١].

٣- علم التفسير: ولم يكن في جميع من نسب إليه شيء من أصول تفسير القرآن من وقت الصحابة إلى يومنا هذا من تلوث شيئاً من مذهب القدرية والخوارج والروافض مثل الخلفاء الراشدين الذين تكلموا في التفسير، ومثل عبد الله بن عباس، وعبد الله بن مسعود، وزيد بن ثابت ﷺ ومثل المشاهير التابعين وأتباع التابعين الذين تكلموا بالتفسير كسعيد بن جبير[٢]، وقتادة[٣]، وعكرمة، وعطاء[٤]، ومكحول، وعطية[٥]، ومن كان بعدهم كالواقدي[٦] ومحمد بن إسحاق بن يسار[٧] والسدي[٨] وغيرهم ممن كان بعدهم إلى أن انتهت النوبة إلى محمد بن جرير الطبري[٩].

---

(١) الفرق بين الفرق: ٣٢١؛ التبصير في الدين: ١٩١.

(٢) سعيد بن جبير الأسدي بالولاء الكوفي أبو عبد الله تابعي كان من أعلمهم على الإطلاق (ت ٩٥هـ-٧١٤م). ينظر الأعلام: ٣/ ١٤٥.

(٣) قتادة بن دعامة أبو الخطاب الدوسي البصري مفسر، حافظ، ضرير (ت ١١٨هـ-٧٣٦م). ينظر: الأعلام: ٥/ ١٨٩.

(٤) عطاء بن أبي رباح الإمام الشيخ مفتي الحرم (ت ١١٤هـ). ينظر: سير أعلام النبلاء: ٥/ ٥٥٢.

(٥) عطية بن قيس الإمام القانت مقرئ دمشق (ت ١١٠هـ). ينظر: سير أعلام النبلاء: ٦/ ١٣٢.

(٦) الواقدي: محمد بن عمر بن واقد السهمي الأسلمي بالولاء المدني أبو عبد الله الواقدي (ت ٢٠٧هـ-٨٢٣م). ينظر: الأعلام: ٧/ ٢٠٠.

(٧) محمد بن إسحاق بن يسار: المطلبي بالولاء المدني من أقدم مؤرخي العرب (ت ١٥١هـ). ينظر: الأعلام: ٦/ ٢٥٢.

(٨) السدي: إسماعيل بن عبد الرحمن السدي، تابعي حجازي الأصل سكن الكوفة (ت ١٢٨هـ-٧٤٥م). ينظر: الأعلام: ١/ ٣١٣.

(٩) محمد بن جرير الطبري: المفسر الإمام المؤرخ (ت ٣١٠هـ). ينظر: الأعلام: ٦/ ٢٩٤.

وكان الزجاج رأساً في نصرة أهل السنة والرد على أهل البدعة وكذا الفرّاء قبله[1].

٤- **علوم الفقه**: ويختص في التبحر فيه أصحاب الحديث وأصحاب الرأي ولم يكن لأهل الأهواء والبدع تصنيف معروف يرجع إليه في تعرف شيء من الشريعة، وليس لهم إمام يقتدى به في فروع الديانة[2].

٥- علوم المغازي والسير والتواريخ والتفرقة بين السقيم والمستقيم.

٦- علم التصوف والإشارات وما لهم من الرقائق والحقائق لم يكن قط لأحد من أهل البدعة فيه حظ وكلامهم يدور على التسليم والتفويض، والتبري من النفس، والتوحيد بالخلق والمشيئة.

قال صاحب الفرق بين الفرق: وكذلك أئمة الإرشاد والتصوف كانوا على توالي القرون على هذا المنهج السديد في المعتقد.

٧- **أهل الأدب والنحو واللغة**: وجملة الأئمة في النحو واللغة من أهل البصرة والكوفة في دولة الإسلام كانوا من أهل السنة والجماعة، وأصحاب الحديث والرأي، ولم يكن في مشاهيرهم من تدنس بشيء من بدع الروافض والخوارج والقدرية مثل أبي عمرو بن العلاء، الذي قال له عمرو بن عبيد القدري: قد ورد من الله الوعد والوعيد، والله تعالى يصدق وعده ووعيده، فأراد بهذا الكلام أن ينصر بدعته التي ابتدعها في أن العصاة من المؤمنين خالدون مخلدون، فقال أبو عمرو: فأين أنت من قول العرب إن الكريم إذا أوعد عفا، وإذا وعد أوفى، وافتخار قائلهم بالعفو عند الوعيد حيث قال:

وإني إذا أودعته أو وعدته ... لمخلف ميعادي ومنجز موعدي

فهذه من الكرم لا من الخلق المذموم.

وكذلك لم يكن في أئمة الأدب أحد إلاّ وله إنكار على أهل البدعة شديد، وبعد من بدعهم بعيد، مثل: الخليل بن أحمد الفراهيدي ويونس بن

(١) التبصير في الدين: ١٩٠.

(٢) الفرق بين الفرق: ٢٣١؛ التبصير في الدين: ١٩٢.

حبيب[١] وسيبويه والأخفش[٢] والزجاج والمبرّد[٣] وأبي حاتم السجستاني[٤] وابن دريد[٥] والأزهري[٦] وابن فارس[٧] والفارابي[٨]. وكذلك أئمة النحو واللغة مثل الكسائي، والفراء والأصمعي وأبي زيد الأنصاري[٩] وأبي عبيدة، وأبي عمرو الشيباني[١٠] وأبي عبيد القاسم بن سلام[١١] وما منهم إلاّ وله تصانيف يشدّ فيه أهل

(١) يونس بن حبيب الضبي بالولاء كان إمام نحاة البصرة في عهده، علامة بالأدب (ت ١٨٢هـ-٧٩٨م). ينظر: الأعلام: ٩/ ٣٤٤.

(٢) الأخفش: هو أبو الحسن سعيد بن مسعدة المجاشعي أخذ عن سيبويه وصحب الخليل (ت ٢١٥هـ). ينظر الأعلام: ٣/ ١٥٤.

(٣) هو محمد بن يزيد بن عبد الأكبر بن حسان الأزدي، المعروف بالمبرد (أبو العباس)، أديب، نحوي، لغوي، نسابة. ولد بالبصرة سنة ٢١٠هـ وتوفي ببغداد في ذي الحجة سنة ٢٨٥هـ. أنظر معجم المؤلفين: ١٢/ ١١٤؛ والفهرست: ١/ ٥٩؛ وشذرات الذهب: ٢/ ١٩-١٩١.

(٤) هو سهل بن محمد بن يزيد الجشمي السجستاني (أبو حاتم)، نحوي، لغوي، عروضي، مقرئ، ولد سنة ١٧٢هـ وتوفي بالبصرة سنة ٢٥٥هـ. أنظر معجم المؤلفين: ٤/ ٢٨٥؛ الفهرست: ١/ ٥٨؛ وفيات الأعيان: ١/ ٢٧٣.

(٥) هو محمد بن الحسن بن دريد بن عتاهية، الأزدي البصري (أبو بكر)، أديب، شاعر، لغوي، نسابة، ولد بالبصرة سنة ٢٢٣هـ وقرأ على علمائها وتوفي ببغداد ودفن بالخيزرانية سنة ٣٢١هـ. أنظر تاريخ بغداد: ١٩٥-١٩٧؛ الفهرست: ٦١:١٥؛ وفيات الأعيان: ٦٢١-٦٣٢؛ طبقات الشافعية: ٢/ ١٤٥.

(٦) هو محمد بن أحمد بن طلحة، الأزهري (أبو منصور)، اللغوي توفي سنة ٣٧٠هـ. أنظر كشف الظنون: ١/ ٥١٥.

(٧) هو أبو الحسين أحمد بن فارس، القزويني، اللغوي، صاحب (مجمل اللغة) المتوفى سنة ٣٩٥هـ. أنظر كشف الظنون: ٢/ ١٦٠٥.

(٨) هو إسحاق بن إبراهيم الفارابي (أبو إبراهيم)، أديب، لغوي، توفي سنة ٣٥٠هـ وقيل غير ذلك. أنظر الأنساب: ٢/ ٤١٥هـ؛ معجم الأدباء: ٦/ ٦٥.

(٩) هو سعيد بن أوس بن ثابت بن زيد بن قيس الأنصاري (أبو زيد)، لغوي، أديب، نحوي، ولد سنة ١١٩هـ وتوفي بالبصرة سنة ٢١٥هـ. وقيل غير ذلك. أنظر معجم المؤلفين: ٤/ ٢٢٠؛ الفهرست: ١/ ٥٤؛ وفيات الأعيان: ٢/ ٢٦١.

(١٠) هو إسحاق بن مرار الشيباني، الكوفي (أبو عمرو)، أصله من رمادة الكوفة نزل ببغداد توفي سنة ٢٠٥هـ وفي رواية ٢٠٦هـ وقيل غير ذلك. أنظر معجم المؤلفين: ٢،٢٣٨؛ وفيات الأعيان: ١/ ٨٠-٨١؛ الفهرست: ١/ ٦٨؛ وتاريخ بغداد: ٦/ ٣٢٩-٣٣٢.

(١١) هو القاسم بن سلام (أبو عبيد) ولد بهراة سنة ١٥٠هـ وأخذ عن خلف وتوفي بمكة سنة ٢٢٤هـ وقيل غير ذلك. أنظر تاريخ بغداد: ١٢/ ٤٠٣-٤١٦؛ الفهرست: ١/ ٧١؛ شذرات الذهب: ٢/ ٥٤؛ تذكرة الحفاظ: ٢/ ٥-٦.

السنة والجماعة، ويرد على أهل الإلحاد والبدعة، ولم يقر واحد منهم في شيء من الأعصار من أسلاف أهل الأدب بشيء من بدع الرافضة والقدرية. غير أن جماعة من المتأخرين من أهل الأدب تدنسوا بشيء من ذلك تقرباً إلى (ابن عباد) طمعاً في شيء من الدنيا والرياسة، وأظهروا شيئاً من الرفض والاعتزال. ومن كان متدنساً بشيء من ذلك لم يجر الاعتماد عليه في رواية أصول اللغة وفي نقل معاني النحو، ولا في تأويل شيء من الأخبار، ولا في تفسير آية من كتاب الله[١].

٨- بيان آثار أهل السنة والجماعة في العمران: أما آثارهم العمرانية في بلاد الإسلام فمشهورة ماثلة أمام الباحثين خالدة في بطون التاريخ بحيث لا يلحقهم في ذلك لاحق كالمساجد، والمدارس، والقصور، والرباطات، والمصانع والمستشفيات وسائر المباني المؤسسة في بلاد السنة.

فقد بنى الوليد بن عبد الملك المسجد النبوي ومسجد دمشق على أبدع نظام وكان سنياً، وبنى أخوه مسلمة بن عبد الملك المسجد بقسطنطينية وكان سنياً وكل ما في الحرمين وسائر الحواضر من شواهق الآثار فمن عمل أهل السنة، وأما سعي بعض العبيديين في عمارات فشيء لا يذكر أمام أعمال ملوك السنة على اختلاف الدول على أنه لا موقع لما كانوا يبنونه مع سوء اعتقادهم كما قال تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ الله شَاهِدِينَ عَلَى أَنفُسِهِمْ بِالْكُفْرِ﴾[٢][٣].

قول أهل السنة والجماعة في السلف الصالح من هذه الأمة

أجمع أهل السنة على إيمان المهاجرين والأنصار من الصحابة ﷺ، خلاف قول من زعم من الرافضة أن الصحابة كفرت بتركها بيعة علي ﷺ.

---

(١) الفرق بين الفرق: ٢٣١؛ التبصير في الدين: ١٩٢.
(٢) سورة التوبة/ ١٧.
(٣) الفرق بين الفرق: ٢٢٢؛ التبصير في الدين: ١٩٥.

وأجمع أهل السنة على أن الذين ارتدوا بعد وفاة النبي ﷺ من كندة وحنيفة وفزارة وبني أسد وبني بكر بن وائل لم يكونوا من الأنصار ولا من المهاجرين قبل فتح مكـة. وإنما أطلق الشرع اسم المهاجرين على من هاجر إلى النبي ﷺ قبل فتح مكة.

وأجمع أهل السنة وقالوا: بموالات أقوام وردت الأخبار بأنهم من أهل الجنة وأن لهم الشفاعة في جماعة من الأمة: منهم أويس القرني والخبر فيهم مشهور.

وقالوا بتكفير من أكفر واحداً من العشرة الذين شهد لهم النبي ﷺ بالجنة. وقالوا بموالات أزواج رسول الله ﷺ وأكفروا من أكفرهن أو أكفر بعضهن.

وقـالوا بموالات الحسـن والحسـين والمشهورين من أسباط رسول الله ﷺ كالحسن ابن الحسن(١) وعبد الله بن الحسن(٢) وعلي بن الحسين زين العابدين(٣) ومحمد بن علـي الحسـين المعروف بالباقر(٤)، وهو الذي بلغه جابر بن عبد الله الأنصاري سلام رسول الله ﷺ، وجعفر بن محمد المعروف بالصادق(٥)، وموسى بن جعفر(٦)، وعلي بن موسى الرضا(٧) وكذلك قولهم في سائر أولاد علي ﷺ من صلبه كالعباس(٨) وعمـر(٩) ومحمد بن الحنفية(١٠) وسائر من درج على سـنن آبائـه الطـاهرين دون مـن حـال إلى

---

(١) الحسن بن علي بن أبي طالب ابن سبط رسول الله ﷺ (ت ٩٩هـ). ينظر: سير أعلام النبلاء: ٥/ ٣٩٩.

(٢) عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب تابعي (ت ١٤٥هـ-٧٦٢م). ينظر: الأعلام: ٤/ ٢٠٧.

(٣) زين العابدين علي بن الحسين بن أبي طالب ابن سبط رسول الله ﷺ (ت ٩٢هـ أو ٩٣ أو ٩٤ أو ٩٥). ينظر: سير أعلام النبلاء: ٥/ ٣٣٢.

(٤) محمد الباقر بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، الإمام السيد (ت ١١٤هـ). ينظـر: سـير أعـلام النـبلاء: ٥/ ٢٤٢.

(٥) جعفر بن محمد المعروف بالصادق بن علي بن الحسين ﷺ السيد الإمام (ت ١٤٨هـ). ينظر: سير أعلام النبلاء: ٦/ ٤٣٨.

(٦) موسى بن جعفر الصادق بن محمد الباقر الملقب موسـى الكـاظم ﷺ (ت ١٨٣هـ-٧٩٩م): ينظـر: الأعـلام: ٨/ ٢٧٠.

(٧) علي بن موسى الرضا بن جعفر الصادق (ت ٢٠٣هـ). ينظر: الأعلام: ٥/ ٢٦.

(٨) العباس بن علي بن أبي طالب. ينظر: الفرق بين الفرق: ٢٣١.

(٩) عمر بن علي. ينظر ترجمته في التبصير في الدين: ١٩٢.

(١٠) محمد بن الحنفية بن علي بن أبي طالب السيد الإمام من كبار التابعين (ت ٨٠هـ). ينظر: سير أعـلام النـبلاء: ٥/ ١٣٧.

الاعتزال أو الرفض، ودون من انتسب إليهم وأسرف في عدوانه وظلمه كالبرقعي الذي عدا على أهل البصرة ظلماً وعدواناً وأكثر النسابين على أنه كان دعياً فيهم ولم يكن منهم.

وقالوا بموالات أعلام التابعين للصحابة بإحسان وهم الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَـٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[١].

ويلحق بذلك كل من أظهر أصول أهل السنة، وإنما تبرؤوا من أهل الملل الخارجة عن الإسلام من أهل الأهواء الضالة مع انتسابهم إلى الإسلام كالقدرية والمرجئية والرافضة والخوارج والجهمية والنجارية والمجسمة[٢].

وفي هذا بيان لآراء وعقائد وقواعد وأصول وآثار أهل السنة والجماعة ليكونوا متميزين عن أهل البدع والأهواء الضالة وهم يمثلون جماهير الأمة. والله أعلم بالصواب.

---

(١) سورة الحشر/ ١٠.

(٢) الفرق بين الفرق: ٢١٨.

المبحث الثالث

أهل السنة والجماعة عند الجمهور

الأحاديث الواردة في افتراق الأمة:

عند تحديد أهل السنة والجماعة عند الجمهور لابد من ذكر الأحاديث الواردة في افتراق الأمة، ومن هي الفرقة الناجية التي تمثل أهل السنة والجماعة عند الجمهور.

قال صاحب الفضيلة الشيخ زاهد الكوثري محقق كتاب الفرق بين الفرق في مقدمة التحقيق: «وردت في افتراق الأمة على ثلاث وسبعين فرقة، منها:

١- لا نص فيه على الهالك.

٢- ومنها ما فيه بيان أن واحدة ناجية والباقين هلكى.

٣- ومنها ما يعدهم كلهم ناجين سوى واحدة هي الزنادقة، وقد اختلف أهل العلم في ثبوت تلك الأحاديث وعدم ثبوتها كلاً أو بعضاً كما اختلفوا في المراد بالعدد المأثور في الأمة أهي أمة الدعوة أم أمة الإجابة. فمنهم من يقول إن العدد لمجرد التكثير كما في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ﴾[1] على ما أوضحه الشهاب المرجاني فيما كتبه على العضدية. أو أن العدد هنا لا مفهوم له فلا مانع من الزيادة على العدد المأثور، وإن لم يجز النقص، أو أن القصد إلى أصول الفرق دون فروعها كما أشار إلى هذا وذاك فخر الدين الرازي في كتابه الملل والنحل وأن سعى في توهين الحديث في تفسيره.

ومنهم طائفة تكلفوا حصر العدد في فرق خاصة لكن قلما تجدهم يتفقون في الفرق التي يملؤون بها العدد المذكور، والأجدر بالقبول عند من يرى صحة الحديث أن لا يتقدم بالحكم على مراد الرسول ﷺ بدون حجة ظاهرة، بل المتحتم أن نقول إن الناجي هو ما كان عليه الصحابة ﷺ والسواد الأعظم من التمسك بما ثبت من الدين

(١) سورة الحاقة/ ٣٢.

بالضرورة، وأن الباقين على الضلال إلاّ أن تشعب الفرق لا ينتهي إلى انتهاء تاريخ البشر فلا يصح قصر العدد على فرق دون فرق، ولا على قرن دون قرن لاستمرار ابتكار أهواء، وتلفيق آراء، مدة دوام حياة البشرية في هذا العالم.

فالكلام في الفرق كلها من غير تقييد بعدد هو الأبعد عن التحكم، وهو الذي يكون مدعاة الهزء للهازئين»[(١)].

وهذا هو الكلام القويم المجدي في بيان الفرق المفترقة والجماعة الناجية

وننقل رأي ابن حزم كما ورد في كتاب الإيمان من الفصل[(٢)] حيث قال في حديث افتراق الأمة على ثلاث وسبعين فرقة حيث قال: «ذكروا حديثاً عن رسول الله ﷺ: «إن القدرية والمرجئة مجوس هذه الأمة». وحديثاً آخر «تفترق هذه الأمة على بضع وسبعين فرقة كلها في النار حاشى واحدة»، قال أبو محمد هذان حديثان لا يصحان أصلاً عن طريق الإسناد، وما كان هكذا فليس بحجة عند من يقول بخبر الواحد فكيف من لا يقول به»، وفي المعتقد خاصة.

قال ابن الوزير اليماني في (العواصم والقواصم): إياك أن تغتر بزيادة كلها في النار إلاّ واحدة فإنها زيادة فاسدة، ولا يبعد أن تكون من دسيس الملاحدة. قال ابن حزم بأن هذا الحديث لا يصح[(٣)].

ولدى بيان ذلك أن الأحاديث الواردة في هذا الباب فيها زيادات أنكرها علماء هذا الشأن باعتبار أن تحديد هذه الفرق فيه تحكم وسبق على حكم الله وذلك ما ذكر الشيخ زاهد الكوثري.

---

(١) مقدمة الفرق بين الفرق، الشيخ زاهد الكوثري: ٤.

(٢) الفصل في الملل والأهواء والنحل، أبو محمد علي بن أحمد بن حزم الظاهري (ت ٥٤٨هـ)، دار المعرفة، ط ٢، ١٣٩٥هـ-١٩٧٥م: ٣/ ٢٤٨.

(٣) العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم، محمد بن إبراهيم الوزير (٨٤٠هـ) تحقيق شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ط ٢، ١٤١٢هـ-١٩٩٢م: ١/ ١٨٦.

وهذا ما أشار إليه ابن حزم وابن الوزير باعتبار مسألة التماس الأعذار ودفع الشبهة وهذا ما لم يوافقهم عليه بعض أهل العلم.

فبين التحديد وبين الإطلاق في معاني هذه الروايات نتوقف ونقول بأن تحديد أهل السنة والجماعة يكون بالالتزام الكامل بالكتاب والسنة وإجماع المسلمين اعتصاماً منهم بأصول عقيدتهم ودينهم.

تحديد أهل السنة والجماعة عند الجمهور:

ابتداءً إن أهل السنة والجماعة يمثلون السواد الأعظم من الأمة، والفرق الخارجة بآرائها وأهوائها وبدعها هي الأقل على الرغم من تعددها واتساعها.

فالصحابة والتابعون وتابعيهم بإحسان من سلف الأمة هم الذين يمثلون أهل السنة والجماعة بنص حديث الرسول: «ما عليه أنا وأصحابي» ووصيته: «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي».

ولدى دراستنا مررنا بأهل السنة والجماعة هم من تمسك بالكتاب والسنة وإجماع الصحابة.

ولدى ظهور الفرق الكثيرة، والتي تحمل آراء بعيدة عن الكتاب والسنة، بدأ أهل الحديث الذين وقفوا لهذه البدع والآراء ذات الابتعاد عن الكتاب والسنة أمثال سيدنا علي وعبد الله بن عمر وعمر بن عبد العزيز وغيرهم، بدأت مرحلة جديدة في حياة الأمة وبناءها العقدي، فوقف الإمام مالك والشافعي وأبو حنيفة وأحمد بن حنبل الذين يمثلون تيار أهل السنة والجماعة في حينهم فقد روي عن الإمام الأعظم أبي حنيفة ﷺ، وقد سئل عن أهل السنة والجماعة فقال: «لا جبر، لا تفويض، ولا تشبيه، ولا تعطيل، ولا نصب، ولا رفض» ويقصد بالتفويض القول بحرية المخلوق بمعنى أن عمله مفوض إليه، وليس تفوض معنى الصفات لله تعالى فليعلم ذلك[1].

---

(١) الفرق المفترقة بين أهل الزيغ والزندقة، أبو محمد عثمان بن عبد الله بن الحسن العراقي الحنفي، تحقيق د. بشار قوتلوآي، منشورات كلية الإلهيات في جامعة أنقرة، ١٩٦١: ٨.

وروي عن الشعبي أيضاً أنه قال: أحب آل محمد ولا تكن رافضياً، وارجع الأمور إلى الله ولا تكن مرجئياً، وأطع إمامك في طاعة الله وإن كان عبداً حبشياً، ولا تكن خارجياً، واعلم أن ما كان من حسنة فمن الله وما كان من سيئة فمن نفسك ولا تكن قدرياً. وإذا ثبت بما ذكرنا أن المذكورين من أهل النصب، والرفض، والجبر، والقدر، أو التشبيه والتعطيل ليسوا من أهل السنة والجماعة، تبين وتعين أن أهل السنة والجماعة هم الذين يخالفوهم ويكون سبيلهم على غير سبيلهم[١].

وبدأ أهل السنة والجماعة ضمن هذه الأمور تتبلور دعوتهم وتأخذ دورها ولو أنها بارزة منذ الصدر الأول، فأخذ طريقين أحدهما مكمل للآخر كما ورد في مراجعنا المهمة كأمثال الملل والنحل للشهرستاني والمقدمة لابن خلدون والفرق بين الفرق وكتب العقائد التي تمثل تيار أهل السنة والجماعة.

فأهل الحديث متمثلون بسلفنا الصالح أمثال عمر بن عبد العزيز والحسن بن أبي الحسن البصري والفقهاء الأربعة مالك وأبو حنيفة والشافعي وأحمد والأوزاعي والسفيانان والليث بن سعد وغيرهم الذين يمثلون رؤوس أهل السنة والجماعة.

التقت هذه الجماعة فيما بعد بمن نصر أهل السنة من الأشاعرة والماتريدية والإمام الطحاوي رحمهم الله تعالى.

فظهر كما مرّ بنا الإمام أبو الحسن الأشعري في البصرة عندما رفض الاعتزال واعتصم بأقوال السلف ونصر السنة وأنه من أتباع الإمام أحمد بن حنبل وفي مصر ظهور الإمام أبو جعفر الطحاوي وفي ما وراء النهر في سمرقند الإمام أبو منصور محمد الماتريدي. فشكلوا مع أهل الحديث السابقين الذكر، جماعة أهل السنة والجماعة، وهي التي تعتصم بالكتاب والسنة وجمهور سلف الأمة. فكانوا هم جماهير أهل السنة والجماعة.

يقول الإمام السبكي في الطبقات الكبرى: اعلم أن أبا الحسن لم يبدع رأياً ولم ينشئ مذهباً وإنما هو مقرر لمذاهب السلف، مناضل عمّا كان عليه صحابة رسول الله ﷺ.

---

(١) المصدر السابق: ٩.

وقد ذكر شيخ الإسلام عز الدين بن عبد السلام[١] أن عقيدته اجتمع عليها الشافعية والمالكية، والحنفية وفضلاء الحنابلة، ووافقه على ذلك أهل عصره شيخ المالكية في زمانه أبو عمر بن الحاجب[٢] وشيخ الحنفية جمال الدين الحصيري[٣].

وقال أيضاً: ونقل الحافظ الشيخ أبو عبد الله محمد بن موسى بن عمار الكلاعي[٤] المايرقي وهو من أئمة المالكية: أهل السنة والجماعة من المالكية، والشافعية، وأكثر الحنفية بلسان أبي الحسن الأشعري يتكلمون وبحجته يحتجون.

ثم قال : ولم يكن أبو الحسن أول متكلم بلسان أهل السنة، وإنما جرى على سنن غيره وعلى نصرة مذهب معروف، فزاد المذهب حجة وبياناً، ولم يبتدع مقالة اخترعها، ولا مذهباً انفرد به، ألا ترى أن مذهب أهل المدينة نسب إلى مالك ومن كان على مذهب مالك مالكي، ومالك إنما جرى على سنن من كان قبله، إلاّ أنه زاد المذهب بياناً وبسطاً عزي إليه، كذلك أبو الحسن الأشعري، لا فرق بين له في مذهب السلف أكثر من بسطه وشرحه وتواليفه في نصرته.

ثم ذكر المايرقي رسالة الشيخ أبي الحسن القابسي المالكي: التي يقول فيها إن أبا الحسن الأشعري لم يأت من علم الكلام إلاّ ما أراد به إيضاح السنن والتثبيت عليها. ثم ذكر جملة من أعلام الأمة من أصحاب المذاهب الأربعة المقرة والمشتهرة عند جماهير الأمة أنهم لازموا عقيدة أهل السنة والجماعة تبعاً لأسلافهم من السلف الصالح حتى ظهور الإمام أبي الحسن الأشعري، والإمام أبو منصور الماتريدي فكونوا مدارس أهل السنة والجماعة[٥].

---

(١) عز الدين بن عبد السلام: الإمام المحدث أبي محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام السلمي (ت ٦٦٠هـ-١٢٦٢م). ينظر: الأعلام: ٤/ ١٤٤.

(٢) أبو عمر بن الحاجب: عثمان بن عمر بن أبي بكر بن يونس جمال الدين فقيه مالكي (ت ٦٤٦هـ-١٢٤٩م). ينظر: الأعلام: ٤/ ٣٧٤.

(٣) ينظر: طبقات الشافعية الكبرى للسبكي: ٣/ ٣٦٥.

(٤) أبو عبد الله محمد بن موسى بن عمار الكلاعي المايرقي. ينظر: طبقات الشافعية الكبرى: ٣/ ٣٦٥.

(٥) طبقات الشافعية الكبرى: ٣/ ٣٦٥.

قال الخطابي(١)، صاحب معالم السنن: كانت المعتزلة في الزمان الأول على خلاف هذه الأهواء وإنما أحدثنا بعدهم في الزمان المتأخر، والأشعرية هم العدل الوسط بين المعتزلة والحشوية لا ابتعدوا عن النقل كما فعل المعتزلة ولا عن العقل كما فعل الحشوية، وورثوا خير من تقدم وهجروا باطل كل فرقة، وحافظوا على ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه وملؤوا العالم علماً، ويوجد بينهم من ينتمي إلى التصوف من مناصرة بعض الأئمة من الصوفية للسنة على الطريقة الأشعرية منذ القرن الخامس، ولا يوجد من يوازن الأشعري بين المتكلمين بالنظر لما قام به من العمل العظيم ومع ذلك لا تخلوا آراءه من بعض ما يؤخذ كنوع ابتعاد عن العقل مرة وعن النقل مرة أخرى، في حسبان الناظر في كلامه مسائل نظرية معدودة كقوله في التحسين والتقبيح والتعليل وما يفيده الدليل النقلي ونحو ذلك، لأن من طال جداله مع أصناف المعتزلة والحشوية مثله لابد وأن يحصل في كلامه شيء من هذا القبيل. وإنما لم يقع مثل ذلك في معاصره إمام الهدى أبي منصور الماتريدي شيخ السنة فيما وراء النهر لتغلب السنة هناك على أصناف المبتدعة تغلباً تاماً، لا تظهر مشاغباتهم معه فتمكن من الجري على الاعتدال في أنظاره فأعطى النقل حقه والعقل حكمه. والماتريدية هم الوسط بين الأشاعرة والمعتزلة في مسائل التقبيح والتحسين. فالأشعري والماتريدي هما إماما أهل السنة والجماعة في مشارق الأرض ومغاربها وغالب ما وقع بين هذين الإمامين الجليلين من الخلاف من قبيل الخلاف اللفظي(٢).

تبين لنا من كل ما سبق وما لم نذكر من أقوال الأئمة والعلماء في كتبهم وما سطروه في دواوينهم العلمية أن أهل السنة والجماعة عند الجمهور، هم أهل الحديث من أعلامنا والأشاعرة والماتريدية كما سماهم الشهرستاني في الملل والنحل والإمام البغدادي في الفرق بين الفرق وأبو المظفر في التبصير في الدين، الصفاتية الذين أثبتوا الصفات خلاف من نفاها من القدرية والمعتزلة.

---

(١) الخطابي: محمد بن إبراهيم بن خطاب البستي (ت ٣٨٨هـ). ينظر: سير أعلام النبلاء: ١٣/ ٣.

(٢) مقدمة تبيين كذب المفتري: ١٩.

الخاتمة

البحث يحتوي على دراسة مستفيضة للمصطلح سواء كانت الشكلية منها والمضمونية ومن خلال التقصي، لهذه الموضوعات، من مضانها، توصلت إلى النتائج التالية:

١- استقرأت الكتب التي يسرها الله لي، من المراجع، والمصادر، فتبين لي أن الفكر هو النتاج البشري، في إعمال العقل، والفكر، في شتى مجالاته، لكنه ينحصر في موضوعنا، في الفكر الموصوف بالإسلامي، أي ما أنتجته العقول التي تدين بالإسلام.

لم أجد مصطلح الفكر الإسلامي، بهذه الإضافة، عند الأقدمين، ولكنني توصلت إلى أنه ظهر، بشكل جلي، في القرن التاسع عشر لكن بوادره كانت منذ القرن الثامن عشر، هناك فكر إنساني ذكره ابن خلدون، في مقدمته، وهناك في كتب العقائد، والفرق، تسمية للفكر باعتباره من إعمال العقل البشري.

٢- لدى قراءتي لمراجع مهمة في هذا الميدان، توصلت إلى أن مصطلح السنة والجماعة، يحده ثلاثة أشياء، توضح مقاصده، وقواعده، وأصوله، وهي:

أ- القرآن الكريم كتاب الله المنزل على سيد المرسلين.

ب- السنة المطهرة، وهي أقوال، وأفعال، وتقارير، الرسول الأكرم ﷺ.

ج- إجماع الصحابة، لقوله ﷺ عندما سئل عن المخرج من الفتن قال: «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي عضوا عليها بالنواجذ».

وهذه الأصول الثلاثة هي التي تقرر، فكر أهل السنة والجماعة.

٣- إن القرآن والسنة كل منهما أعطى للعقل، مجالاً واسعاً لاستخراج معانيهما واستنباط الأحكام منهما، وكان بوسائل متعددة منها:

أ- الحث على النظر في الكون، وهو الآيات، المشاهدة، من قبل الإنسان، فجاءت الآيات تحث الإنسان، أن ينظر في آيات الله الكونية، من خلق السموات والأرض، وما فيهما، والإنسان ومم تكون، واعتبر هذا التفكر عبادة، يؤجر عليها الإنسان.

ب- ذكر الله سبحانه وتعالى، الفكر، ومشتقاته، والعقل، ومشتقاته، تأكيداً على الدعوة إلى إعمال العقل، وتشغيل الفكر.

ج- أوجد أسلوب المجادلة، بالتي هي أحسن، ودعا إلى المحاورة، مع الأديان على اختلاف مشاربها، لإحقاق الحق، وإزهاق الباطل، وإقامة الدليل والبرهان على ذلك.

٤- إن هذا المصطلح، أخذ مفهومه، من منطوقه، فلدى تحليل ألفاظه، وجدت أن كل كلمة تكون منها هذا المصطلح تعبر عند الإضافة عن معنًى خاص، يضم جماعة، تحمل قواعد وأصول.

٥- أن هناك معنًى قريباً، في هذا المصطلح، وهو معلوم من خلال السنة المطهرة، وسيرة الصحابة، وما قالوه، وما أسسوه، وإن لم يعلنوا عن ظهور جماعة، تسمت بهذا الاسم بل تحمل محتواه المعنوي ودلالته المضمونية.

٦- المعنى البعيد لهذا المصطلح، يتحقق من خلال نهوض أبي الحسن الأشعري على منبر الجامع الكبير في البصرة، ليعلن أنه على مذهب الإمام أحمد في الاعتقاد، ناصراً السنة المطهرة، منافحاً، عن عقيدة الإسلام فظهر المصطلح، قبالة أهل الأهواء والفرق، كالقدرية، والجبرية والرافضة، والمرجئة، والمعتزلة وغيرها من الفرق.

فلابد من منهج متكامل مأخوذ من الكتاب والسنة وإجماع الأمة وأقوال العلماء، لكي يتميز عن غيره، من الدعاوى الباطلة، والبدع الضالة، والأهواء.

٧- تبين من خلال الدراسة أن أبا الحسن الأشعري، والإمام أبا منصور الماتريدي، والإمام الطحاوي، مكملين لما كان عليه أهل الحديث، من لدن الإمام الحسن البصري، وأبي حنيفة، ومالك، والشافعي، وأحمد بن حنبل، والأوزاعي، والسفيانين، وابن المبارك، وغيرهم من أئمة الدين.

٨- الفرق بين أهل الحديث، والمتكلمين من الأشاعرة، والماتريدية هو أن الأخيرين، استعملا أسلوب المتكلمين في الدفاع عن السنة والجماعة، ودعيا إلى

الاعتصام بهما، وإقامة الدليل العقلي، مع الدليل النقلي، في الرد على أهل الأهواء والمبتدعة.

٩- هذا العمل، أقام لأهل السنة والجماعة، منهجهم الخاص، المميز لهم عن غيرهم، والذي بان فيه، طريق الحق من طريق الضلال.

١٠- أوضحت هذه الدراسة طريق أهل السنة والجماعة، وأنهم يمثلون جمهور الأمة الأعظم، وما عليه سلف هذه الأمة، من أهل الحديث، والصفاتية، أي الأشاعرة، والماتريدية.

هذا والله يقول الحق، وهو يهدي السبيل، هو نعم المولى ونعم النصير.

المحتويات